روايات عبير



جانيت ديلي

الحصار الفضي

٤٨

العنوان الأصلي هو

Boss Man from Ogallala

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ غيوم فوق المزرعة

تسلل الصوت الضعيف من فراشه بالمستشفى:
«أما من قبلة للرجل المسن يا حبيبتي كايتي؟»

فابتسمت كايتي فيلدر وهي تتخطى الحبال والأسلاك التي تشد جسم والدها وقبلته برقة وهي تلاحظ الشحوب البادي عليه. حتى المسكنات لم تستطع مسح أثر الألم من عينيه. ولكنها قللت من بريقهما فقط

«... يا أبي».

[illegible]
[illegible]
[illegible]

قالتها الآن وهي تنظر إليها بإمعان، وقد بدا في صوتها الخوف الذي أصبح شيئاً مألوفاً في الأيام الأخيرة.

«لقد تناولت الغداء مع جوني قبل عودته إلى نورث بلاته».

وحاولت كايتي وهي تهز ... ألا يلاحظ والدها مدى خيبة أملها التي انطوت عليها مقابلتها جوني. وبالرغم من محاولة والدها أن تبدو لقاءاتها لها عادية، إلا أنها شعرت أنهما كانا منشغلين في نقاش حاد قبل وصولها، فحاولت أن تقول شيئاً يملأ الصمت الرهيب.

«لم تبدأ في مغازلة الممرضات بعد يا أبي؟»

تنهد جون فيلدر محركاً رأسه الذي بدأ الشيب يدب في شعره وقال:

«لا يبدو أنني سأفعل ذلك، إذ سأقضي في هذه الجبائر والأثقال ستة أسابيع».

ونظر إلى سقف الغرفة في يأس وهو يلعن حظه العاثر وقال:

«لم يكن هذا الوقت مناسباً لأقع من ظهر الحصان. ومع ذلك، كيف الحال في المزرعة يا كاتي؟»

وجدت كاتي صعوبة في مواجهة والدها الجاد، وحمدت الله أن والدتها قضت الأيام الأخيرة مع والدها في سكوتسبلاف، بحيث لم تعرف شيئاً عن الأزمة الأخيرة التي حلت بالمزرعة. وكانت الأم لا تستطيع أن تخفي شيئاً عن زوجها حتى لو حاولت ذلك.

«كل شيء بخير يا أبي غير أن الجميع يشعرون بوحشة لغيابك عنهم».

وحاولت كاتي ألا تفكر في الصفقة المكسورة والعشرة رؤوس الماشية المفقودة من مرعى ... ولكن الأب ... بطريقته المعهودة في قراءة أفكارها، قائلاً:

«هل تخفين شيئاً عني يا كاتي؟»

«ولماذا ذلك القلق يا أبي، فكل ما حدث هو أن الحصان ... فقد حدوة من حوافره ... حتى يضطرني إلى رميه بالرصاص».

فضحك الأب ضحكة مرهقة لعبارة ابنته المرحة لكنها ضحكة لا تفارق ... التألق، وقال لها:

«منذ كنت أعلمك في عشر البداية».

لكن سرعان ما بدا وجهه جاداً وهو ينقل نظره بين زوجته وابنته ويقول:

«من حق ... أن ... تريد ... من ... بعد تصرفاتك مع جوني».

«لا تقل لي إن هناك مشاكل جديدة».

وابتهجت كاتي وهي تعلم مرح مركز عائلتها المالي بعد هبوط سعر الماشية في السوق، لكنها تهيبت من نظرة والدها أن ... لم يجري لأسباب ... ومع ذلك أخفت ما في نفسها وقالت:

«هذا كرم منه يا أبي».

إلا أن جون ... تململ في سريره وقد بدا ثوب المستشفى الأبيض غريباً عليه وقال:

«نعم لكنه قدم اقتراحاً كنت أبحثه مع والدتك».

فتوترت أعصاب كاتي رغماً عنها وهي تستمع إلى كلام أبيها وهو يقول:

«يعلم أنني سأظل في الجبيرة هذه ستة أسابيع أخرى على الأقل حتى تلتئم عظامي، وحتى بعد ذلك، تعلمين أنني لم أعد شاباً، وبالرغم من عملية الشفاء التي أجريت لي فإنني سأحتاج إلى وقت طويل حتى أشفى. وفي الوقت نفسه تقع مسؤولية إدارة المزرعة على عاتقك».

فطمأنته كاتي بسرعة قائلة:

«في مقدوري القيام بذلك يا أبي. انتهينا من جز الماشية وترقيمها وتحصينها بالحقن قبل إصابتك. كما سيتمني ... من ... قريباً ويستطيع أن يساعدني بالرغم من أن ... الخامسة عشرة فقط كما أنك ستشفى من مرضك يا أبي وتعاونني في الأعمال اللازمة لتعريفه».

إلا أن النظرات المتبادلة بين الوالدين أشعرت كاتي بأن احتمالاتها لم تكن ناجحة كما ... تقول:

«سلم ... أيضاً موجود، وإذا احتجت لمزيد من المساعدة يمكن ... أن يحضر أخي في العطلة ... يا أبي وأعرف كل شيء عن المزرعة التي قضيت فيها عمري».

«لا أشك في قدرتك، لكنك تعرفين مدى خسارتنا بسبب عواصف الشتاء وأسعار المواشي، ولولا ارتفاع قيمة الأراضي لما استطعت الحصول على قرض آخر من البنك. إن ... يعرفك جيداً ولن يترك الأمر له ... إياه بإدارة المزرعة».

وعند هذا الحد لم يستطع الأب مواجهة نظرة ابنته فحول نظره إلى ...

الذلة في الفراء واستطرد قائلاً:

«ومن المضحك أن يعين شخصاً يدير المزرعة، إلى أن أصبح أنا في حالة تمكنني من أن أتولاها بنفسي».

تحركت «كاثي» مستندة على ذراعيها لتخفي انفعالها، وجالت بنظرها بين البنطلون الأبيض الذي كانت ترتديه وحذائها الطويل وقالت:

«هل هذا بسبب أنني امرأة؟ لو كان «جوني» موجوداً لاختلف الأمر أليس كذلك؟»

فردت الأم قائلة:

«لا داعي لشعورك بالمرارة يا عزيزتي، إنه الواقع».

«لا بد وأن هناك أمراً يا ترى يعرفون ما هو بصدده».

وحاولت «كاثي» أن تضحك لكن ضحكة مريرة اندفعت من بين شفتيها بينما اتجهت نحو النافذة ولاحت ابتسامة على وجهها غير أن والدها قال لها:

«لو كان هناك أمل في استرداد صحتي في المنزل لما كان تدعيما بمشاركتهم فعليك مواجهة الواقع يا «كاثي». استعدي بالسيارة لبيتنا بالمستشفى القريبة في حالة أي طارئ يجد في الجو».

«كان الرئيس الوحيد الذي أذكر «مارك تيلور» ولا أعرف كيف أتلقى الأوامر من أحد غيره. ألا تستطيع إقناع السيد «تيلور» بذلك؟»

«إنه يعرف رجلاً من «أوكلاهوما» يتمتع بخبرة واسعة كمزارع، وقد طلبت منه أن يستدعيه ويرسله إلينا إني متأكد من أنه في استطاعتي الاعتماد عليه في أن تسير الأمور هينة وثابتة بالنسبة إليهم».

إلا أن «كاثي» لم تحاول إخفاء شعورها بالمرارة لأن ارتباطها بأبيها لا يدع مجالاً لاعتقاد شيء عنه. فاتجهت نحو سريره وقالت:

«كنت أتمنى أن أتولى الأمور بشجاعة الرجال، يمكنك الاعتماد علي يا أبي مثل عهدك بي دائماً».

فابتسم الأب وقال:

«كنت متأكداً من ذلك، لكني أشعر باطمئنان أكبر عند مجيئي ذلك مثله الآن».

وهنا دخلت الممرضة الفرنسية وهي تحمل صينية العلاج في يدها وقالت:

«حان الوقت مرة أخرى يا سيد «تيلور»».

ونظرت إلى «كاثي» ووالدتها نظرة توحي إليهما بأن يتركا الغرفة.

«سأتركك الآن يا أبي لأصل إلى المنزل قبل وصول «مارك»».

واقتربت «كاثي» من أبيها لتقبله، وبعد برهة قالت:

«متى أتوقع وصول ذلك الرجل القادم إلينا؟»

«قال «مارك» إنه سيحاول إرساله في أوائل الأسبوع».

فابتسمت «كاثي» ثم ابتعدت وقالت في نفسها إن لديها خمسة أيام لتجهز كل شيء. وبعدها صحبت والدتها قائلة:

«سأتحدث مع «مارك» يوم الأحد».

ثم تبعت والدتها إلى الخارج. كانت «كاثي» دائمة الإعجاب بولاء أمها لزوجها، ورأت بنفسها أثر ذلك الحب في الأيام الأربعة التي مرت منذ الحادث. وفعلاً لاحظت ملامح «ويسيل فيلبس» الغاضبة عندما التفتت إلى ابنتها قائلة:

«تعرفين يا «كاثي» أن والدك لم يكن في موقف يسمح له بالجدال مع الطبيب».

فردت الفتاة قائلة:

«أفهم ذلك غير أنني لا أرتاح إليه».

فتنهدت الأم ونظرت إلى ابنتها نظرة اعتذار وقالت:

«في الواقع أنا مسرورة لهذا الأمر، فلم يرق لي أن أراك تتحملين هذه المسؤولية وحدك، وكل الأشخاص في رأيك تفكر فيه المشاكل».

«أمل أن تخرج كل الأزمات يا أمي. العشق أنت يا أمي والركض في المزرعة وواجباتها الجديدة لي».

«كنت ألقيت عليك طوال هذه السنين لتشهد بالفشل في بعض الأمور، والآن

وقد انتقل «جوني» إلى السكة الحديد بدلاً من اشتغاله بالمزرعة، وكنا أن نشعر بالسعادة وعلى الأخص حين تراك الآن تنتهجين هذا الطريق الصحيح الذي تسير من قبله لعلها ينتهي كل شيء ويعود «جوني» إلى المنزل...»

وهنا أحست صوت الأم تسكت، وسمعت «كاتي» بعض الغصة التي تمتزج بصوت أمها فكل منها لا تستطيع الكلام عن أمر آخر تمتلكه وهو ذلك المريض في المستشفى الذي يعاني من كسر في فخذه.

تبادلت «لوسيل» وابنتها القبلات ووضعتها الأم في شيء من الشدة بأنها ستعود معها ومع «هارلد» إلى المنزل عند زيارتها للمستشفى يوم الأحد. وهنا شعرت «كاتي» بأن أمها تتنازعها رغبتان: رغبتها في البقاء بجانب زوجها، ورغبتها في البقاء مع أولادها. كما أيقنت «كاتي» بأنه بالرغم من مظهر أمها الخارجي الذي ينم عن رباطة جأشها فهي في قرارة نفسها امرأة قروية، ولا بد أنها ناقشت الموضوع مع والدها واتفقا عليه. فلا حاجة «لكاتي» أن تثنيها عن عودتها للمنزل، فإن ذلك الوالدين سيهنأ عندما تعود «لوسيل» إلى المزرعة مع أولادها.

عندما غادرت «كاتي» المستشفى راودتها فكرة طارئة وهي أن تذهب إلى «نورث بلات» لمقابلة أخيها الأكبر مرة أخرى وترجوه العودة إلى المزرعة ومعاونتها في هذه الأزمة الجديدة. لكنها تذكرت إصراره على رفض اقتراحها. فقد حاول «جون» منذ صباه تلبية رغبة أبيه ويتعلم الزراعة حتى يتولى شؤون المزرعة في يوم من الأيام إلا أنه بعد الانتهاء من دراسته التحق بالجيش. وفي أثناء خدمته عبر البحار كتب «لكاتي» يقول إنه قرر ألا يعود للعمل مع أبيه. وحين انتهت خدمته العسكرية في نهاية صيف العام الماضي سرعان ما أخطر والديه بأنه قبل وظيفة في «نورث بلات» مع شركة «يونيون باسيفيك» للسكك الحديدية.

هنا تسير والدته بخيبة أمل كبيرة في ابنها، وابتلعا مرارة الحزن مع كل المتاعب

التي كانا يعانيان منها غير أن «كاتي» شعرت بألم والدها عندما ترك ابنه الأكبر يبني مستقبله بنفسه ومع ذلك ثبت أنه تلوقا الغداء مع أخيها أن تقنعه بالعودة ولو مؤقتاً ومع أن «جوني» كان متعاطفاً معها غير أنه رفض طلبها واعتذر بغير وجهه قائلاً:

«لقد حسمت الأمر، وأعرف أن أبي لن يقف في طريقي، ورغم أنني أشعر بالذنب وأنا أقول ذلك، إذ أعرف كيف كان يعتمد علي فإنا عدت الآن، فإني أحس فيه الأمل مرة أخرى، وفي الواقع يا «كاتي» أنت تفكرين في المزرعة أكثر مني»

إلا أن العبارة التالية التي قالها كانت هي التي منعتها من الاتصال به ثانية بخصوص الشخص الذي سيصل لشؤون المزرعة. إذ قال «جوني» ليحسم الموقف:

«إذا واجهتك أي صعوبة يا أختي يمكنك أنت وأبي أن تستأجرا شخصاً أكثر خبرة مني»

إذا كانت رحلة عودتها إلى المزرعة خليطاً من القلق والغضب. فإن فكرة رجوع أمها في قرارة بالمستشفى لمدة ستة أسابيع في الوقت الذي كانت المزرعة في أشد الحاجة إليه، تثقل على صدرها كما تثقل عليه تورتها حين تفكر أن شخصاً غريباً سوف يتولى أمر مستقبل العائلة.

٢ ـ هواء الشمال البارد

على بعد ثلاثة أميال من المزرعة رأت «كاتي» وهي تقود سيارتها، سيارة نقل تخرج من مزرعة «سميث» واستخدمت السيارتان آلة التنبيه في وقت واحد، بينما خففت «كاتي» من سرعة سيارتها حتى توقفت وأنزلت زجاج النافذة، ونزل «سميثي» الذي تقترب من الشاحنة وسألها:

«هل أنت عائدة لتوك من المستشفى؟»

قالها وهو يرفع قبعته ليمسح العرق عن جبينه وهو يستند على السيارة. وأمالت «كاتي» رأسها وتطلعت إلى الوجه الذي لفحته حرارة الشمس، وبدت على ملامحه وسامة الشباب والإقبال على الحياة، وكانت عيناه بنيتين وأنفه بارز على نحو عجيب، وشعره بني اللون طويلاً وغزيراً بحيث يتدلى إلى ما تحت أذنيه ويختلط بسوالفه طويلاً بحيث يتمشى مع الموضة وقصيراً بحيث لا يثير غضب أبيه. «سميثي» أو على الأصح «توم سميث»، هو الابن الوحيد لـ«روبرت وجين سميث» وهما أقرب جيران آل «هيلمور» وكان «سميثي» في الثالثة والعشرين من عمره أي في نفس سن «جوني» شقيق «كاتي» الأكبر وكانت «كاتي» منذ طفولتها تتبع الصبيين أينما ذهبا حتى أصبحت في السابعة عشرة من عمرها وبدأ «سميثي» يهتم بها لأنهما يشتركان في حب الحياة الريفية والرياضة والحيوانات.

ابتسمت «كاتي» له وظهر عليها حبها لأبيها وفخرها به حين قالت:

«والدي في تحسن، لكنه مازال يشعر بالألم، إلا أنه لا يشكو من شيء مطلقاً»

فقال لها «سميثي»:

«سنذهب إليه يوم الأحد.. وكيف الحال في مزرعتكم؟»

«إنكسرت المضخة عند البئر رقم ١٠ وحاول «سام» إصلاحها لكنه لا يفهم شيئاً في المحركات، فتذكرت أنك في ..»

«لو أحضر أنا لأصلحها بالتأكيد سأحضر. أعطاني أبي حرية الحضور إلى مزرعتكم في أي وقت تحتاجون فيه إليّ. هل تحدثت في الهاتف «جوني» بالرجوع للمزرعة؟»

«لا.. وليس هذا كل شيء، فإن «فريد لوارد» من البنك يحذر أمر إرسال رجل ليدير المزرعة إلى أن يقف والدي على قدميه»

فأبدى «سميثي» دهشته من هذا الخبر خاصة وأن معرفته الطويلة بـ«كاتي» جعلته يشعر بأثر هذا النبأ عليها وأضافت «كاتي» الثلاثة وقد تقطب جبينها:

«إنهم لا يثقون بالمرأة»

فداعبها «سميثي» قائلاً:

«ستثق مصارف «كاتي» التي تعتمد دائماً على نفسها أوامرها من رئيس كبير»

فرمقته «كاتي» بنظرة حالمة بينما كانت تعيد في مخاطبتها فمد يده ولمس برفق الشعر الأشقر عن أنفها ثم انحدر بيده ورفع ذقنها وأدخل رأسه من نافذة السيارة وهو يقول:

«أي مصرف ذلك؟ إذ لا أريد لـ«سميثي» أن تربط نفسها بالمزرعة أربعاً وعشرين ساعة في اليوم طيلة الصيف»

وبدلاً من فرحتها لتصرف بعد هذا، لم تستحسن «كاتي» فكرة وجود شخص آخر غريب عن عائلة «هيلمور» يتولى مزرعة «أكتور» بل إذا تخلت عنها روحها المرحة وهي تفكر في هذا الموضوع وقالت:

«وماذا يكون شعورك لو حضر شخص وأصر على فرض أوامره وأنت في موقعك؟»
«لكنك لست امرأة، فأنا لن يحدث لك ذلك».
«لا تعتبري المسألة إهانة شخصية لك».

حتى «سيمي» أن استمع إلى «كاسي» وهي تناقش موضوع المساواة بين الجنسين، وشعر أنها سعيدة في إلقاء محاضرة من ذلك النوع، لذا قال لها:
«أتطلع لن يدوم ذلك القلق إلى الأبد».
لكنها حدقت فيه قائلة:
«كنت أتوقع أن تفهم موقفي».
«إني أفهمه، لكن لا فائدة من السخط على شيء لا يمكن تغييره... بينما كنت في طريقي للمرعى الغربي اليوم رأيت رؤوس الماشية العشرة التي فقدت منك وهي مختلطة مع قطيعنا الوحيد هناك».
فتنهدت «كاسي» وقالت وهي تتنفس الصعداء:
«هذا يعني أن السور قد انهار في مكان ما. إن الماشية قد تم العثور عليها ولم تسرق كم كنت أتوقع».
وسرعان ما قال لها «سيمي»:
«سأقابلك هناك غداً لنفرز الماشية معاً».
«أشكرك، إذ أريد أن يكون كل شيء على ما يرام عندما يحضر هذا الرجل».
«ومن هو؟»
وبسبب ضيق «كاسي» من معرفة التفاصيل، هزت كتفيها في نوع من اللامبالاة وقالت:
«شخص من أوكلاهوما».
ثم أضافت قائلة:
«يحسن بي الانصراف الآن لأصل إلى المنزل قبل «مارك»».
وربّت «سيمي» على السيارة بيده وقال:

«من الباص منذ نصف ساعة، وبالمناسبة، هل مازال موعدنا مساء السبت القادم؟ سأضطر للذهاب إلى «سكوتسبلاف» مع «مارك» فما رأيك في الحضور لمشاهدة التليفزيون أو أي شيء آخر؟»

قالت «كاسي» ذلك وأدارت السيارة وخرجت بها إلى الطريق العام بينما لوح لها «سيمي» موافقاً على فكرتها.

وبعد ميلين من مسيرتها انعطفت «كاسي» إلى الطريق الجانبي المؤدي إلى منزل المزرعة، وجالت بنظرها عبر التلال المحيطة بالمكان، وعبر المراعي المغطاة بالأعشاب التي أخذت تتغير من اللون الربيعي الأخضر إلى اللون الأصفر، كما لاحظت اللون الأحمر الطبيعي الذي يميز جلود الماشية، وكانت التلال قد عبر الأفق يتخللها عدد من طواحين الهواء الشاهقة، واتجهت «كاسي» بنظرها نحو منزلها القابع في منتصف الجانب الشمالي، في حمى التلال التي تحميه من لفح هواء الشمال البارد.

وعند سماع صوت اقتراب السيارة خرج كلب من تحت الشرفة الخشبية، شعره أشعث يهتز ذيله من فرط السرور. كان «شيب» يعتبر عضواً في الأسرة منذ أن دخل عليها وهو جرو صغير، فاندفع بذيله نحو «كاسي» التي كان يعتبرها أحب أعضاء أسرته.

وظهر «مارك» على الشرفة بينما راحت «كاسي» تحيي «شيب» الذي ملأ شعورها بالفرح في محاولة لتهدئته، وابتسمت للصبي الذي كان يلبس بنطلوناً يصل إلى أعلى كاحليه مما يدل على مدى الطول الذي وصل إليه فجأة أثناء هذا الربيع، وكان قميصه مفتوحاً وتظهر منه عظام صدره التي برزت من صدره. وكان «مارك» يشبه أمه بشعره الأشقر وعينيه الزرقاوين، كما بدا عليه أن طوله سيصل إلى ستة أقدام مثل أبيه، أما الآن فهو في مثل طول «كاسي».
«ألم يحن موعد عودتك بعد؟»

فقال «مارك» بصوت منزعج تظهر فيه نبرة الصبي الذي لم يكتمل وتحول

صوته إلى صوت الرجال. ثم ألقى بنفسه على أحد مقاعد الشرفة.

«إنني أموت جوعاً. ألا يمكننا أن نذهب للمدينة لتناول العشاء؟»

لكن "كاتي" توقفت خلف المقعد [illegible] وسألت:

«هل انتهيت من أداء كل أعمالك؟»

«كلا. عدت تواً إلى المنزل.»

قال "سميث": «إن [illegible] نصف ساعة. مما يعني أنه كان لديك الوقت الكافي للانتهاء من التهام البسكويت التي أرسلته السيدة "باركر" وشرب نصف غالون الحليب [illegible] وكلها كانت لتعطيك القوة اللازمة للقيام بأعمالك.»

هز كتفيه وهو يلبس حذاءه وقال:

«كنت جائعاً. لكن، كيف حال أبي؟»

«أعتقد أنه أحسن حالاً.»

«هل من الضروري الذهاب للمدرسة غداً؟ ألا يمكنك [illegible] معك الزيارة وكتابة اعتذار إلى المدرسة؟»

«غداً يوم الجمعة يا "مارك"، ويوم واحد لن يضرك. كما أن الأربعاء القادم هو آخر يوم قبل العطلة الصيفية.»

ثم صعدت الدرج إلى الشرفة وقالت له:

«أسرع وأنجز أعمالك.»

وقال "مارك" [illegible] وهو ينزل الدرج متجهاً نحو [illegible] الثلاثة التي كانت تكوّن مع المنزل مجموعة منشآت المزرعة.

«لا تنس أن تحضر [illegible] الليلة لتنظفه.»

ثم دفعت الباب وفتحته لتدخل إلى المنزل.

ووجدت "كاتي" إبريق الحليب الفارغ والكوب الذي يحمل آثار [illegible] جنباً إلى جنب على طاولة المطبخ بين فتات البسكويت المتناثر حولها. فهزت رأسها [illegible]

من ضياع أملها في إصلاح أخيها. وأخذت تنظف المكان وهي تحمل [illegible] أمها إلى المنزل. فبالإضافة إلى [illegible] والتنظيف كانت تلك [illegible] تشمل الصحون. وكانت "كاتي" [illegible] الجيران في إعطائها الأطعمة [illegible] بعد [illegible] الحادث لأبيها يوم الاثنين ورحيل الأم إلى [illegible] لتكون بجانب زوجها بعد العملية التي أجريت له لوضع مسمار في فخذه. إلا أن "مارك" كان قد التهم ما تبقى من هدايا الجيران.

ولما حل وقت العشاء سأل "مارك" أخته "كاتي" [illegible]:

«متى ستعود أمي إلى المنزل؟»

فردت عليه:

«لن تعود قبل يوم الأحد.»

«إذاً علينا الذهاب إلى المدينة لتناول العشاء.»

والتفتت نحو أخيها، وبحركة واحدة [illegible] وقال "مارك":

«إذا [illegible] يمكننا تنظيف المطبخ في [illegible] والوصول إلى المطعم بعد ساعة.»

٣ ـ مجيء الرجل المتعجرف

لوحت «كاسي» مودعة «مارك» وهو يخطو خطواته إلى حيث ينتظر سيارة المدرسة، وكان ساقا «مارك» الأيمن لا [illegible] في مقعد الركوب. كما كان يمضي الأيام حتى يصل إلى سن السادسة عشرة، حيث يسمح له باستخراج رخصة القيادة حتى لا يضطر لركوب سيارة المدرسة. وتنهدت «كاسي» وهي تفكر بأن ذلك اليوم ليس ببعيد.

«سام ويلر» العامل المساعد في المزرعة منذ عشر سنوات بدأ في [illegible] عليها [illegible] «كاسي» إلى [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible]

«كاسي» [illegible] من زاوية خفية وقد أعجبت بكمال تكوينه وجمال عضلاته. وكان جلده البني اللامع يلمع في شمس الصباح، بينما أخذ يهز ذيله الأسود ليهش به الذباب من حوله. وعند سماع وقع حوافره الطويل على الأرض المغطاة بخليط من الرمل والحصى أدار الحصان وجهه في اتجاهها ولم تستطع أن تسيطر على الرجفة التي سرت في جسمها عندما نظرت إلى وجهه الأبيض الذي يختلف قليلاً عن اللون البني على الصدغين. وكان واضحاً بسببه «الثعلب» وهي تسمية واثقة هي عليها خاصة عندما نظرت إلى عينيه ووجدت أن إحداهما بنية والأخرى زرقاء.

ثارت أعصابها عندما التقت نظراتها بنظرات الحصان، فطالما تاقت أيامها في أن يمتلكه والده [illegible] أنه حصان ممتاز لرعاية قطيع المواشي. وهي

حقيقة لن تذكرها «كاسي»، فقد كان «إيغلن بو» أحسن جواد في المزرعة وكان الطيبي [illegible] سريعة متعة وهو يقوم بعمله. أما فيما عدا ذلك فلم تكن «كاسي» ترتاح إليه، إذ لم يكن من السهل التنبؤ بما قد يصدر عنه، ولا يمكن الاعتماد عليه في القيام بأبسط الأعمال.

وفي يوم الحادث حاولت «كاسي» [illegible] بأخذ جوادها للاطمئنان على حال البئر القريب من المنزل، إلا أن جوادها المفضل كان يشكو من العرج، ومع ذلك [illegible] على [illegible] «إيغلن بو» الذي تسبب بوقوع الحادث الأليم.

وبصعوبة تنفست «كاسي» عند تلك الذكرى الأليمة وأسرعت نحو جوادها الواقف على أهبة الانطلاق. وكان لون جلده الأسمر الغامق يبرز سواد عرفه وذيله وأسفل أقدامه. وضعت الجواد وهي تمسك بلجامه وتقوده خارج الحظائر نحو [illegible] الخيول. وكان الكلب «شيب» جالساً بجانب السيارة وهو يدق بأقدامه [illegible]

وعندما اقتربت «كاسي» داخل السيارة تساءلت [illegible] «سام» بأنها ستخرج.

كان «مارك» يسمي «سام» «سام الصامت»، ولم يكن أحد يعرف الكثير عنه، فلم يظهر أي اهتمام بأسرته. وكان قد رفض [illegible] الأسرة [illegible] في الكشك الصغير، وفضل النوم في مقطورة شبه قطعة وضعها بجوار إحدى البحيرات الموجودة في المزرعة، والتي يمكن وصفها بأنها مستنقع كبير. ولم يكن «سام» يتكلم كثيراً، ومن هنا جاء اسمه، غير أنه عندما يتكلم كان لا بد أن يقول شيئاً هاماً أو مفيداً. وكان رأيه في النساء يتفق مع رأي أهل غرب «أمريكا» الأوائل، لذا كان يعاملهن بمنتهى الاحترام والأدب، وكثيراً ما شعرت «كاسي» أن سلوك «سام» نحو والدتها كان يقترب من الإجلال، كما شعرت أنه من بلاده ثقة من

الرجال الذين تركوا بصماتهم على الحدود الغربية للولايات المتحدة وكان
سام مديد القامة، نحيل الجسم، خجول الطبع، كما كان ملماً إلماماً تاماً بكل
خفايا الطبيعة من نبات وحيوان، لذا علّم كابي أسماء النباتات التي كانت
تنمو في سالدهيل كما عرّفها بفوائد هذه النباتات بالنسبة إلى الهنود الذين جابوا
تلك المناطق في وقت من الأوقات، وقصّ عليها كل ما يعرفه عن سيطرة الثيران
البرية على هذه البراري بفضل عددها الكبير الذي كان يقرب من الملايين.

تذكرت كابي كيف كان سميتي و جوني يداعبانها وهي صغيرة
ويقولان لها إن سام ينحدر من أبناء القبائل الرحل التي عاشرها الهنود وأنهم ربوه
كأحد أبناء الهنود.

وقد ساعد شكل سام الغريب ووجهه الذي لا يدل على سنه، ساعد
كابي على تصديق هذه القصة حتى قال لها والدها إنها قصة لا يمكن أن
تحدث، ومع ذلك كانت تلك هي الصورة التي بدا بها سام ووقر لكابي
وسيظل دائماً يبدو إنه ينتمي إلى عهد مضى وإلى نوع آخر من الرجال.

وكادت كابي أن تصل إلى بوابة مرعى بويت هول عندما شاهدت
التراب المتصاعد من سيارة سميتي وهي تقترب، وعندما أوقف سيارته بجانب
سيارتها كانت كابي قد حلّت جوادها تاي وأنزلته من المقطورة وأخذت
تفتح البوابة وبدل كابي لم يستطع سميتي وقتاً في إنزال حصانه وقيادته
عبر البوابة، فقد أمن كل منهما بأن العمل أوانه ثم يليه الحديث، وبمجرد قفل
البوابة امتطى كل منهما صهوة جواده وأخذ الجوادان يطويان الأرض بينما هز
غيب ذيله وهو يمرح أمامهما.

وبعد أن سارا بمحاذاة السور لمسافة معينة بدأ سميتي الحديث بينهما
متسائلاً:

ماذا قال مارك عندما علم بمجيء الرجل الجديد؟

وأنت تعرف مارك جيداً، إنها أكبر كارثة في حياته وأهم ما يشغل باله هو

ليتعلم بأنه لن يدوم طويلاً.

وضحكت كابي لكن سرعان ما ظهرت على جبينها تقطيبة لا شأن لها
بشمس الصبح الساطعة وقالت:

ربما عليه الارتياح لأن أمراضه ستقل أثناء الصيف بقدوم الربيع، وأعتقد أنه
فعل طبيعي لمن في مثل سنه.

وبدا سميتي يقول ساخراً:

هكذا تتكلم السيدة العجوز وهي تقتبس من حكمة الأيام والسنين.

فاصطبغ وجه كابي بحمرة الخجل وهي تشعر بما كان في صوتها من نبرات
تنم عن السيطرة، وأضفت هذه الحمرة على وجنتيها وجهها جمالاً من الأنوثة. وكان
شعرها مكشوفاً للشمس التي أضفت على اللون البني بريقاً ذهبياً، وداعب النسيم
شعرها القصير فلامست خصلات منه وجهها وكأنها تداعبه. وكان حاجباها
طبيعيين لم تمس قوسيهما معدات التجميل. أما عيناها اللتان كانتا أحياناً
تعكسان إشارات الغضب فقد بدتا اليوم كالحتين يغلب عليهما الخجل. وقد زاد من
مظهر الرقة البادية عليها نقط النمش المرتسمة على أنفها ووجنتيها، وبالرغم من
صغر فمها الذي يتناسب مع حجم بقية قسماتها فقد كانت شفتاها ممتلئتين.

وأشارت كابي بيدها قائلة:

ها هي الشجرة المزعجة في السور.

وكانت أمامهما تماماً شجرة جردها يد الشتاء، وعرى الصيف العاقل من أوراقها
والسور خلفها التي أصبح بلونه الكالح يبرز لون البراري الأخضر وقد سقط
فرع من الشجرة فجذب معه جزءاً من السور أثناء سقوطه.

وبسرعة التف كل من كابي و سميتي حياطة حول الفرع وجذباه بعيداً
عن السور، ثم طفقا ينظفان المكان من بقايا الأسلاك الشائكة المحطمة، وعندما امتطيا
جواديهما بعيداً من فتحة السور أشار سميتي إلى الجهة التي رأى فيها ماشية
الكثير بان.

وكانت التلال ممتدة أمامها ترى لمن يراها أنها منبسطة، إلا أن المنخفضات التي تتخللها كانت غائرة بحيث يمكنها إخفاء أي بقرة كبيرة أو حتى أي جواد براكبه. وفي أماكن متفرقة كان عشب البراري قد تآكل من جانب التل بحيث تعرت الأرض الصفراء. وكانت الطيور تشدو وتحلق حولها.

وكثيراً ما سمعت كابي بعض الناس يصفون التلال بأنه مهجورة بسبب السماء المفتوحة، والتلال الممتدة عبر الأفق. إلا أن كابي سمعت مرح همس الرياح، وتغريد الطيور، ووقع حوافر جوادها وهو يخطر بين الأعشاب والرمال. وكانت كابي تحب الاستيقاظ مبكراً لترقب الشمس وهي تبرز من بين السحاب، كما ترقبها وهي تتوارى وراء الأفق. كان هذا موطنها الذي لم تشعر فيه بالوحدة، وكيف تشعر بالوحشة وحولها أشخاص تحبهم ومناظر جميلة من صنع الخالق!

وعندما وصل الفارسان إلى قمة التل رأيا قطيع البقر الصغير وهو يرعى في المراعي الخصيبة. ورفعت الفتاة رأسها بعد منحدر الشرب كل من كابي و سميتي منها بينما ظل شيب وراءهما في صمت واقفاً فيما يشبه الابتسامة السعيدة، وأخذ يلهث وجال بعينيه الراقيتين ليتفحص القطيع منتظراً إشارة من سيدته لجمع القطيع. وقالت كابي بوقار:

أرى سبع بقرات عليها علامة أنكور بار.

وأومأ سميتي لها بإشارته بينما هما يطوفان حول القطيع ورأيا ثلاث بقرات أخرى ترعى بعيداً عن المجموعة الكبيرة. وأشارت كابي بيدها نحوها فاندفع شيب سريعاً ليقوم بجمع البقر وكان الكلب كالعرائس المراقبة وهو يجري وينطلق من بقرة إلى أخرى حتى تجمعت معاً في دائرة واسعة. ثم وكز كل من كابي و سميتي جواده ليندفع إلى الأمام لكي يفصلا بين بقر أنكور بار والبقر الآخر. وظل شيب جالساً في سكون على الأعشاب بلا حركة إلا عندما يشعر أن إحدى بقرات أنكور بار تحاول أن تنضم للبقر الآخر.

أقسم بأن هذا الكلب يستطيع قراءة علامات البقر.

قالها سميتي عندما انتهى الكلب من فصل آخر بقرة من القطيع الآخر وسحب السبع البقرات العشر نحو الفتحة الموجودة في السور.

وقالت كابي مبتسمة للكلب وهو يجري بجوار الفتاة:

أحياناً أشعر بشيء غريب عندما أنظر إليه.

وكانت رحلة العودة إلى السور أسرع من رحلة الذهاب. فسرعان ما أصبحوا معهم ماشية مزرعة غيلبي ثم أخذا يصلحان الأسلاك الشائكة حتى عاد السور كما كان.

وبينما أخذ سميتي يعيد معداته إلى جرابها بالسرج، قالت له كابي وهي تدعوه لتناول شيء من المرطبات:

هلمّ بالسيارة بعض عصير الليمون.

فقال وهو يجفف العرق عن جبينه بظهر يده:

إني حقاً بحاجة لتناول شيء منعش.

ثم أضاف:

هيا تسابقيني.

ولم تهتم كابي بجلبة شربه شرغية بل أمسكت بجوادها ولفت إلى السرج ووراءها مباشرة جاء سميتي على ظهر جواده. وسارا في طريقهما إلى بوابة المزرعة. وعندما توقفا كانت قد سبقته بمسافة طويلة. وقالت والفرحة تغمرها:

على الخاسر أن يقوم بتنظيف حظيرة الجياد.

فأخذ منها سميتي اللجام وقال:

لا مانع لدي، طالما يحق للفائز تقديم عصير الليمون.

وبعد ذلك انطلقت كابي إليه وقدمت له كوباً من الليمون البارد، وقال سميتي بعد رحلة

«كنت أفكر على أي لبنة أسس الترتيبات التي اتفق عليها والدك بخصوص الشخص الذي سيدير المزرعة أثناء إقامته في المستشفى. وعندما طلب مني المزيد من التفاصيل التي لم أستطع أن أمده بها اتصل تلفونياً بالمستشفى. أتعرفين اسم الشخص القادم إليكم؟»

«كلا، ولا يهمني معرفته.

قالتها وهي تحاول ألا تدع وجهها يعبر عما يجول بنفسها.

«اسمه فليت ماكاليستر»

وتوقف سيمتي برهة لتعي كايسي الاسم جيداً، واستمرت في سيرها وهي تنظر أمامها وكأنها لا ترى شيئاً. كما أنها لم تعلق على عبارته، ومضى يقول:

«لابد تعرفينه، أليس كذلك؟»

«لا أستطيع القول أني أعرفه»

وكان جوابها بارداً بحيث تعمدت أن يشعر بأنفتها من هذا الموضوع.

«إنه ينتمي إلى شركة ماكاليستر للأراضي وشركة المواشي في أريزونا، وقد سمع بهم جميع مربي المواشي في الغرب الأوسط.

ورفعت كايسي أنفها معبرة عن كبريائها واحتقارها

«أهي تلك الشركة؟»

فعاد سيمتي للموضوع بإصرار وقال:

«لا تحاولي التغاضي بأن الأمر لم يكن له وقع قوي عليك، فلا بد أنك سمعت أنه كان في استطاعة ماكاليستر الكبير وابنه أن يستوليا على منطقة ساند هيلز كلها ويقيما أكبر امبراطورية للمواشي في الولايات المتحدة في سنوات الجفاف. ومع ذلك بذل الأب ما في وسعه لمساعدة أصحاب المزارع، وبلغ به الأمر أن قدم لهم القروض حتى بعد أن أصبح عاجزاً عن ذلك. وكاد هو نفسه أن ينهار كما انهار غيره. إن فليت ماكاليستر هو حفيد ذلك الرجل العظيم»

ولاحظ سيمتي تعبير الامتعاض الذي حاولت كايسي ألا يظهر عليها

وتابع كلامه قائلا:

«أنت تذكرين أنه منذ سنوات اشترك فليت ماكاليستر في برنامج تبادل زراعي، وقضى سنوات في استراليا يدرس طريقة الناس في إدارة المزارع. وأذكر ذلك، ولا بد سيصدم عندما يكتشف أنه سيتولى هنا إدارة مزرعة هزيلة مساحتها ستة عشر ألف فدان فقط»

«يا إلهي، يا كايسي، ألا تكفين عن هذه المرارة، وتفكرين في الفرصة التي ستسنح لك؟ فكري بما ستتعلمينه من هذا الرجل أثناء وجوده هنا. وعلاوة على ذلك فإن الأب سيحاول هذا الشتاء وسيجعل فليت يتولى إدارة الشركة ويمنحه السلطة الكاملة عليها»

«كيف تكون بهذا الغباء! ألا ترى كيف سيسيطر علينا هذا الرجل العظيم بخبرته وكم يتمتع إنك أمام فتاة ترفض أن يأمرها ذلك الرجل الذي يدعي العلم بكل شيء»

تجاهل سيمتي نظرتها بحكمة إذ أيقن ألا فائدة من الجدال معها ففي إمكانها أن تكون عنيدة، الأمر الذي لا يؤدي إلا إلى مزيد من الكلمات الصارمة. لذا تعمد أن يسحب جواده إلى مقطورة السيارة ويمسك عليها. وفهم من الأصوات التي كان يسمعها أن كايسي كانت هي أيضاً تشد جوادها على مقطورة سيارتها. وبرغم ما قال لها بالتصاعب قبل أن يركب سيارته:

«سأسبقك إلى المزرعة لأعد المنزل للضيف»

فأومأت كايسي برأسها توافقه على اقتراحه، وهي تدفع المزلاج الذي يغلق باب المقطورة.

٤ ـ التفاحة المهترئة

فليت ماكاليستر، فليت ماكاليستر، فليت ماكاليستر!

شعرت كاري أنها ستصرخ إذا سمعت ذلك الاسم مرة أخرى. فقد كان الاسم على فم كل من زار والدها في المستشفى أثناء عطلة نهاية الأسبوع، ولاحظت أن سرور والدها يتزايد كلما فكر في أن ذلك الرجل سيدير مزرعته، وكان يفخر بأن شخصاً معروفاً ومحترماً مثل فليت ماكاليستر سيكون رئيساً في أنكور بار. وقد رآه في رفقة زوجه فعل أصدقاؤه وزملاؤه المزارعون وجاراتهم لزوجه. أما كاري فقد أزعجتها نبرات التبجيل التي سمعتها في أصواتهم كلما ذكروا اسمه وكانوا يتكلمون عنه وكأنه رئيس الولايات المتحدة ونجم سينمائي مشهور.

ويوم الأحد حضر جيري ريد هو أيضاً لتهنئته لأنه أنقذه من الشعور بالذنب الذي كان يعذبه.

وكانت كاري محقة عندما قررت أن لا فائدة من مناقشة أبيها حول ذلك الرجل من الشمال، لأن جيري كان معجباً بحضوره، وحتى مارلين الشابة تعرف المديح في تلك الأسطورة الحية فليت ماكاليستر. فصمتت كاري في طريق العودة للمنزل مع أمها بكل القصص التي سمعتها عنه. وكانت الأم هي الوحيدة التي لاحظت صمتها وهي تحاول السيطرة على غضبها المتزايد لكنها لم تشرح النظرات الرافضة المتعاطفة فقد تأكدت أن الوصول

تيلفور هي الأخرى سعيدة بأن رجلاً سيحضر لإدارة أنكور بار في غياب زوجها.

وكانت كاري في مكتب والدها صباح ذلك اليوم لتكلم سميثي بالتليفون بخصوص حضوره لمعاينة المضخة المكسورة المثبتة على البئر رقم ١٠. وقد سميت تلك الغرفة بالمكتب لأنها تضم مكتباً وملفات المزرعة، وكانت الغرفة مصممة أصلاً لتكون غرفة للطعام لقربها من المطبخ إلا أنها لم تستعمل لهذا الغرض، بل أصبحت تلقائياً مكتباً للمزرعة حيث كان جون تيلفور يضع فيها خزانة أسلحته، ويزين جدرانها برؤوس الحيوانات التي اصطادها وجوائزه، كما وضع فيها مقعده المريح المفضل. وفي السنوات الأخيرة وضع جون تيلفور سريراً ليستريح عليه أثناء النهار، وذلك بسبب زيادة الأعمال الكتابية وساعات السهر في تلك الغرفة.

ودخلت الأم في اللحظة التي أعادت كاري فيها السماعة لمكانها، وكانت ذراعاها محملتين بأدوات التنظيف من مكانس وفراشي ومناشف. ولم تلتفت كاري لها باهتمام إلا عندما أثارت كلماتها انتباهها وأوقفتها عند الباب وهي تقول:

«يوجد بعض الملاءات النظيفة والبطانيات على طاولة الزرعة يا كاري، هلا أحضرتها؟»

«ماذا تريدينها؟»

«لكي أجهز فراش السرير.»

ومرت فترة صمت ربما لاحظت السيدة تيلفور الفرشة العارية وقالت:

«ما رأيك لو أخذت الفرشة للخارج لتهويتها؟»

لم أتساءلت وهي تحدق بطريقة آلية.

«يجب أن تساعدني في نقل خزانة جدك من البيت الصغير إلى هنا كما

ستحتاج «سام» لمعاونتنا في ذلك. أما خزانة الأطباق وأدوات الطهي فيمكننا إزالتها من مكانها».

وجالت الأم بنظراتها الفاحصة في أرجاء الغرفة بينما ظلت «كاسي» إلى جانبها ما يحدث. واسترسلت الأم تقول:

«يمكننا تنظيم الغرفة بطريقة ملائمة، بحيث يستطيع أن يضع ملابسه في مكان مناسب».

فاعترضت «كاسي» قائلة:

«أتعنين أنه سيقيم هنا في هذه الغرفة؟ ولماذا لا يقيم في المنزل الصغير حيث يسكن بقية العمال الأجراء؟ لماذا يسكن هنا؟»

فردت «لوسيل فيلمور» بصوت هادىء ينطوي على شيء من التأنيب:

«ليس السيد «ماكاليستر» أجيراً بالمعنى المعروف يا «كاساندرا»».

وكانت الأم لا تنادي ابنتها باسمها كاملاً إلا عندما تكون غاضبة منها. فقالت الابنة بحدة تدل على احتراسها:

«لكن هذه غرفة أبي».

وترقرقت الدموع في عينيها، عندما أيقنت أن ذلك «الكلينت ماكاليستر» لم يكن يستولي على مركز أبيها فحسب بل على مكتبه الخاص أيضاً. لقد انسابت كلمات الغضب من فمها لكن الأم أوقفت سيل كلماتها بنظراتها التي تحمل معاني التأنيب وهي تقول:

«يا ابنتي. تغلبت على شعورك بالعداء نحوه. لمن حسن حظنا أننا عثرنا على رجل مثل خبرته وعلمه».

«وإني أمقته».

وخرجت الكلمات كالهمس من بين أسنانها المطبقة من الغيظ ولم تصدق أنها ما سمعته فقالت وهي في قمة دهشتها:

«كاساندرا فيلمور!»

وبعد سماعها كلمات أمها انطلقت «كاسي» مسرعة خارج الغرفة. لقد قررت ألا تستمع للمزيد من الحديث عن «كلينت ماكاليستر».

نادت «كاسي» «سام» ليذهب للمنزل حيث كانت أمها تحتاج إليه ثم استقلت السيارة وأطلقتها بعنف. وبينما أثارت الرمال تحت العجلات المسرعة، رأت «سام» وهو يتجه نحو المنزل وقد رفع قبعته احتراماً للسيدة «فيلمور» التي ظهرت في الشرفة وهي تحجب الشمس عن عينيها بيدها وتراقب «كاسي» وهي تسرع في الطريق. ولم تنتبه «كاسي» إلى أنها خرجت إلى الطريق الرئيسي بالحصى، أو إلى صوت عجلات السيارة وهي تطحن الأرض متجهة جنوباً إلى الطريق العام ولم تهدأ ثورتها إلا عندما وصلت إلى «أجريت فوسيل بيلو» حيث لم يبق منها إلا رماد غضبها المكبوت. وفجأة أوقفت السيارة قرب الجسر الذي يعبر نهر «جيرولدا» ثم أطلقتها لتعود ثانية إلى المزرعة.

«كلينت ماكاليستر» وتصورته في ذهنها وهو يلبس بذلة أنيقة مثل أهل الغرب، ويضع على رأسه قبعة بيضاء أنيقة، ويلبس حذاء طويلاً من الجلد الناعم ولا بد أنه يلبس رباطاً رفيعاً للعنق يثبته بمشبك مرصع بالماس وزخرفة كبيرة. لقد سبق لها أن سمعت عن هؤلاء الكثير من أصحاب مزارع الماشية. وسمعت عن مفاخرهم بما كنزوه من ثروات وكم خسروا في رهاناتهم الغبية في نهاية الأسبوع لأنس قبضهم. ولا شك أن والد «ماكاليستر» رغب بإرساله إلى أستراليا لمدة عام حتى لا يبدد ثروة الأسرة. لقد سمعت عن تصرفات بعض الأحفاد المدللين لأصحاب المزارع من الرواد الأوائل. ولا بد أن ذلك الرجل القادم إليهم قد تقدم في كتابة الحيث باسم أسرته. لذلك لا عجب أن يكون الناس في المزارع فكرة خاطئة عن الأمريكيين، ويتصورونهم قوماً مدللين يحبون التظاهر وذلك بسبب أمثال «كلينت ماكاليستر» الذي يعتبر كحلقة مهترئة في صندوق

تفاع مرسل إلى الخارج.

وكانت «كاسي» تقترب من قمة أحد التلال عندما لمحت نظرها سيارة بخطورة للعيان، وهي تسير بسرعة أقل من سرعة سيارتها فلم يكن أمامها من خيار إما أن تضغط على مكابح السيارة حتى لا ترتطم بها من الخلف أو أن تسرع وتتخطاها وفي اللحظة التي ظهرت فيها أمامها لتتأكد من خلو الطريق، أدارت «كاسي» عجلة القيادة وداست على البنزين لتحسن المرور بجانب السيارة والخطورة قبل أن تصل إلى التل التالي، ولم تكن «كاسي» تشك في قدرتها كسائقة ماهرة إذ قامت بقيادة حول الزرعة ثم خرجت منه إلى سيارة النقل بعد أن سمع قول سائقها بذلك.

وظهرت عليها ابتسامة الرضا عندما مرت بجانب السيارة وتعدتها بمسافة كافية قبل أن يظهر التل أمامها. وكان صوت الهواء المنبعث من نافذة سيارتها يصم أذنيها ويمنحها شعوراً بالنصر حتى أنها لم تقلل من سرعتها بل زادتها إلى ثمانين ميلاً وهي تنحدر في طريق النزول. وفجأة وبلا سابق إنذار سمعت «كاسي» دوياً أزعجها، وارتجفت عجلة القيادة تحت يديها وكادت أن تفلت منها.. لقد انفجرت إطاراتها وبكل قوتها أمسكت بعجلة القيادة في اتجاه مستقيم، ورفعت قدمها عن البنزين وضغطت على الكوابح.

وأخيراً توقفت السيارة، وكانت ذراعاها وساقاها ترتعد من هول الموقف. ولم تقو «كاسي» على الحركة بل أسندت رأسها إلى عجلة القيادة وهي تؤنب نفسها على السرعة التي كانت تسير بها محاولة التخفيف عن نفسها بالتفكير في أن لديها إطاراً احتياطياً في حالة جيدة. وفي لحظة فتح باب السيارة بعنف، ووجدت نفسها أمام عينين رماديتين لم تر أقسى منهما مثيلاً. وفي لمح البصر تذكرت السحب القاتمة التي تنذر بالعاصفة، والتي كانت تغطي أحياناً السماء... واضطرب قلبها الذي يخفق بهدير الرعد.

«يا أيتها المعتوهة! لماذا هذه السرعة؟ هل كنت تحاولين قتل نفسك أم تعتقدين أن الطريق ملكك... أمثالك يتسببون في مضايقة كل سائق عاقل على الطريق».

تملك الغضب «كاسي» وردت على ذلك الغريب الشرس قائلة:

«شكراً إنني لست مصابة. كما أنه كرم منك أن تقلق علي وتسأل عني».

«الذي يسأل ماذا هو التخلص... أين الرافعة؟»

«إنني قادرة على تغيير الإطار بنفسي».

وخرجت «كاسي» من السيارة، ومشت بعيداً وراء المقعد لتأخذ الرافعة وهي تنظر بكبرياء إلى الرجل لتتحاشى نظراته الساخرة المتعالية التي تكاد لا تصدق ما ترى. وطارت حول السيارة لتصل إلى الإطار الأيمن الأمامي.

ولم تحاول «كاسي» إخفاء غضبها عندما سمعت خطواته تتعقبها، وبسرعة جذبت الآلة الرافعة ورفعت بها مقدمة السيارة، وأخذت تحل الصواميل، ونجحت في حل الصامولة الأولى بيسر، أما الثانية فأبت أن تتحرك، وشعرت «كاسي» بنظرات الرجل الغريب وهي تراقبها وتحصي حركاتها، وبالرغم منها علت حمرة الخجل وجنتيها وهي تحاول أن تحل الصامولة بلا طائل. حتى كفت يدها عن المحاولة القاتلة وراء مجهوداتها العنيفة.

وقبل أن تبعد أبعدها الرجل عن طريقه ليقوم هو بالعمل، ومع ذلك احتجت بغضب وهي تقول:

«إن بإمكاني القيام بالعملية بنفسي».

ثم رد وهو يسخر منها قائلاً:

«حقاً ما أراه فعلاً»

«بسهولة وخبرة قلة السيارة، وقال لها عارزة:

«إذا أردت المساعدة في العمل، وساعدتني، أحضري الإطار الاحتياطي».

فعلقت «كاسي» تنفض يديها بغيظ وهي في طريقها لإحضار الإطار، لما

أدارتها بطريقة الآمرة. وبعد عودتها وجدت أنه نزع الإطار وبسرعة وضع الاحتياطية في مكانها. ولأول مرة سنحت لكايسي الفرصة لتتأمل الرجل الذي فرض عليها مساعدته بدون استئذان، بل بثقة وكبرياء.

كانت لحيته من النمش وقد أدارها إلى مؤخرة رأسه كاشفاً بذلك عن شعر بني كثيف تتخلله خصلات متوهجة من لفح الشمس. وكان جانب وجهه تمر به ندبة تشق وجنته من الجبهة للشفاه إلى الأنف المستقيم ثم الفك المربع والذقن ذات العظام الناتئة. وكان حاجباه بنفس لون الشعر الكثيف. أما الحاجب الأيسر فكان مرفوعاً في سخرية واضحة. وكانت عيناه الزرقاوان داكنتين بحيث بدتا وكأنهما سوداوان. وكان جلده مصطبغاً بسمرة زادت من شدة بياض القميص الذي يرتديه. وعرفت كايسي في اللحظة التي وقفت بجانبه أنه فارع الطول ستة أقدام أو تزيد لما وصلته كايسي بأنه طويل ونحيل وهي ترقب ظهره بعضلاته القوية وخصره النحيل في بنطلونه البسيط.

أخيراً قام الرجل وقال:

«إليك الإطار السليم».

ثم نزع الرافعة من مكانها وطواها وأعادها إلى كايسي. وقد بدت على وجهه طيف ابتسامة، وظهرت غمزتان على خديه يمكن وصفهما لو كانتا في أي شخص آخر بأنهما غمازتان. أما في حالته فهي فقد سخرتا ظلال السخرية المرتسمة في عينيه وراقبته كايسي وهو يعيد الإطار التالف إلى مكانه في السيارة، بينما أخذت هي تسحب الرافعة في علبة تزرع بالخيط المكورت وتخرج.

وعندما تقاعست كايسي عن إبداء الشكر لمساعدته قال لها:

«لا شكر على واجب».

قررت كايسي قائلة:

«إنني لم أطلب مساعدتك».

فلمس لحيته بحركة هازئة وقال في سخرية واضحة:

«هذا صحيح. ولكني أكره أن أرى فتاة لكن عليك أن تعرفي سيارتك بعد فقد لا يحالفك الحظ في المرة القادمة».

وهنا قفزت كايسي داخل السيارة وأدارتها بسرعة، وابتسمت باستهزاء في المرآة الجانبية وهي تضغط على البنزين مبتعدة بسرعة.

٥ ـ لقاء على غسل الصحون

بعد أن تركت كاتي مسافة بينها وبين السيارة ذات القطورة، هدأت من سرعتها وسارت بسرعة معتدلة. فلم يعجبها أن تعترف لدواعي القلق التي أثار نفسها أن انفجار الإطار قد أفزعها ولو قليلاً. وشعرت كأن الدنيا عشتها لمجرد أنها أنثى. حتى هو... لقد ألقى عليها عبارة مهينة من العبارات الفجة. لا عجب إذن أن تعي المرأة بتلك الحركة التحررية لتزهو بها على عدوانية الرجال.

وعندما وصلت إلى المزرعة كانت كاتي تقود سيارتها بسرعة أقل من السرعة التي تركتها بها. وتوقفت عند محطة الوقود بالمزرعة لتملأ خزان السيارة الذي كاد يكون فارغاً. ورأت سام وهو يحاول تهدئة أحد العجول الصغيرة وبدا كأنه انتهى من معاونة والدته في نقل الأثاث استعداداً لوصول فليتشر ماكاليستر. وبعد ملء خزان السيارة قادتها كاتي إلى الشجرة الوحيدة الوارفة الموجودة في الفناء وأوقفتها تحتها. وجاء الكلب شيب يرحب بعودتها بحماس شديد عبر عنه بحركاته المرحة بها.

وبمجرد أن وطئت قدما كاتي درج الشرفة في طريقها إلى المنزل، سمعت صوت سيارة أخرى تسير في الطريق المؤدي إلى البيت. ولأول وهلة، حجبت الأتربة التي أثارتها السيارة القاتمة الزرقة، بحيث لم تتبينها جيداً وهي تدور حول منعطف التل. ولم يستطع شيب بحاسة سمعه الحادة أن يتعرف على صوت السيارة المقتربة من المنزل. لذا وقف شعر شيب على ظهره ترقباً وهو

يتقدم بشجاعة متحدياً المتطفل الجديد القادم إليهم.

وعندما تعرفت كاتي على السيارة والمقطورة حاملة الجواد، وضعت يديها على خصرها في حركة كأنها تتحفز وتغضب، بينما ضغطت على شفتيها بحركة تدل على الصرامة. وتوقفت السيارة أمام المنزل، ونزل منها الرجل الغريب الطويل الذي سبق له أن عاونها في تغيير الإطار ولم يهتم الرجل بتهديدات شيب الشرسة وقالت كاتي باستهزاء:

«لم تكن هناك حاجة لأن تتبعني. فأنا قادرة على العودة للمنزل بدون مساعدتك»

فقال الرجل بصوت أجش عميق، لكنه هادئ، مع ما فيه من لهجة الأمر:

«أليست هذه هي مزرعة فليتشر؟»

فردت عليه كاتي بحدة وتبرم:

«نعم، ولكن إذا كنت تبحث عن عمل فيمكنك أن تعود من حيث أتيت، لأننا لا نحتاج إلى عمال. وإذا احتجنا إليهم فلا نريد استخدام رعاة البقر من النوع الرخيص».

والتقت نظراتها في جو صامت بين قلق شيب وتأففها لوجود الرجل الغريب. وبالرغم من تأجج الغضب الواضح في عيني الرجل الرماديتين، إلا أن كاتي شعرت من رؤية بريق من الدهشة في عينيه تروح وتجيء كأنها اهتمام وتسلية. وشعرت كاتي كأنها زهرة تحاول أن تمنع أسداً مفترساً من التعرض لطريقها. ولكن ما يحمل هذا الشعور من يأس لا طائل من ورائه. فهذا الغريب ليس إلا متطفلاً تسلل إلى مزرعتهم. وسمعت كاتي والدتها وهي تسأل:

«هل سمعت صوت سيارة تقف هناك؟»

وجاء السؤال من الداخل قبل أن تفتح الأم الباب. وقبل أن تجيبها كاتي رأت لوسيل فليتشر الرجل الغريب واقفاً أمام الكلب الزمجر. فصفقت الأم بيديها لتدعو الكلب إليها حتى يترك الرجل. كما ألقت على ابنتها نظرة تأنيب

وعتاب. وبأدب رفع الغريب قبعته تحية للوالدة وتقدم نحوها وهو يسأل:
«هل أنت السيدة «فيلمور»؟»
«نعم، أنا هي. هل من خدمة نسديها إليك؟»
وكان صوت الأم يدل على ترحيب ودود وكرم طبيعي وهو أمر عادي بالنسبة إليها.
«اسمي «ماكاليستر.. فلينت ماكاليستر».»
اندهشت الأم وابنتها أشد الدهشة لكلامه وكان «فلينت» يترقب رد فعل كشفه عن شخصيته بالنسبة إلى «كاسي» بالذات. فقد أفلتت يدها من خصرها بينما تقلصت من كتفيها الناعمتين بكبرياء، بحركة تدل على عدم تصديقها لما تسمع. ولو كانت تمتلك نفسها من الدهشة لما ميزت ما يعكسه أكثر مما فعلت. لقد اكتنفها ذهول فجائي لم تعرف كيف تواجهه. وانتبهت إلى أمها وهي تقول للقادم الغريب:
«إننا لم نتوقع حضورك قبل منتصف الأسبوع»
أما «كاسي» فظلت تحدق في الرجل الذي لم يشبه تصورها السابق «لفلينت ماكاليستر» الذي بدأ يقول:
«أرجو ألا أكون تسببت في مضايقتكم»
فابتسمت «لوسيل فيلمور» وهي تقول مرحبة به:
«كلا، لقد انتهيت لتوي من إعداد بعض الفطائر. أما القهوة فهي حاضرة على النار. هلا تفضلت بالدخول؟»
فأشار نحو المقطورة وقال:
«يسرني ذلك، لكن يجب أن أعتني بأمر جوادي أولاً»
«ستريك ابنتي «كاسي» مكاناً تتركه فيه»
وما أغضب «كاسي» أن والدتها نادتها بذلك الاسم الذي لا تحبه، كما أنها لا

ترحب بإطلاع ذلك الرجل على أي شيء خاص بالمزرعة. إلا أنها لم تكن في مركز يسمح لها بعدم إطاعة والدتها، فقد نفذت أمرها وهي مرغمة.
والتقت نظراتها الثائرة بنظرات الرجل المتهكمة برهة قبل أن تتجه «كاسي» نحوه، وقد عرفت من صوت انغلاق الباب أن الأم دخلت إلى المنزل. وظلت نظرات «كاسي» متجهة إلى الأرض فترة، ثم نظرت إلى خلف المقطورة حيث ربطها «فلينت ماكاليستر» وكان العداء الذي شعرت به نحوه قبل أن تقابله، والعداء الذي شعرت به نحو الغريب الذي عرض عليهما مساعدته بغطرسة وكبرياء قد اندمجا معاً في شعور هائل من الكراهية. وكانت عيناها مثل قطعتين من القصدير المتوهج وهما تلتهبان بالشرر القاتل، بينما أخذ الرجل يسحب جواده من المقطورة.
ولو كانت الظروف مختلفة لرغبت «كاسي» في مداعبة الحصان الذي رأته فقد كان من نوع «الأبالوسا» الأسود الداكن المنقط باللون الأبيض في بعض أجزاء جسمه. وكل ما جال في خاطرها وقتئذ هو أن في مقدور أي شخص أن يقتني جواداً كهذا إذا كان لديه القدرة المالية على شرائه. ولو فكرت «كاسي» في ذلك قبل الآن، لما اختارت في مخيلتها غير هذا الحصان ليقتنيه «فلينت ماكاليستر» ويركبه ويجلب به الأنظار إلى نفسه. وسرعان ما قالت:
«أريد إسطبلاً فسيحاً لكن جياد مزرعتنا تنطلق في الأحراش وتمشي تحت حراسة سيقانها»
«لا عليها إطلاقاً.
إنه أصيل جواد، وأفضل أن يكون منفصلاً عن غيره، ولا داعي للإسطبل».
وكان رده متعجرفاً مثل سؤال «كاسي» تماماً. وأشارت نحو المقطورة وقالت:
«يستطيع «سام» الذي يعمل في مزرعتنا أن يجد مكاناً مناسباً لجوادك. فهو يعرف بعض المراعي الصغيرة الجيدة».

وساروا نحو المنزل يتبعهما الحصان بهدوء وصاحبه يلحق به من خلفه. وكان سام متكئاً على أحد الأحصنة والسيكارا تتدلى من فمه، وهو يتحدث بهمس للمهر الصغير الواقف بجواره. ولم تشأ كايتي أن تفسد عليه استمتاع هذه الخلوات التي كان سام يقرب فيها المهر الذي كان يستمع بإنصات إلى كل كلمة يقولها سام. ولم تكن هناك حاجة لانتظار سام وأبيها واللذين يرقبان إذا كان يشعر فعلاً بوجودهما. ونظرت كايتي بطرف عينيها إلى فلينت متوقعة أن يبدي تململه ونفاد صبره. لكنه لم يكن مستاءً، بل كان يراقب المنظر بنفس الاهتمام الذي كانت كايتي تبديه عادة عندما كان سام يقوم بعمله السحري في تدريب الخيول الصغيرة. وأخيراً قاد المهر إلى بوابة المرعى ونزع عنه اللجام وربّت على عنقه وهو يطلقه نحو الحقول الواسعة.

وعندما عاد سام إليهما، رأت كايتي وجهه [illegible] الرئيس الجديد فيما كانت أفكار سام وهو يصافح الرجل الغريب [illegible] كايتي [illegible] الأمر الذي لا [illegible] سام [illegible] [illegible] سام الجواد الجديد [illegible] عنها وعادت كايتي إلى المنزل. وكانت تتمنى أن تتخلص من صحبة ماكاليستر بتركه مع سام. فقد كانت متأكدة أن فلينت لن يدع سام يقوم بالعناية بأي جواد ثمين بدون ملاحظته هو نفسه. إلا أن فلينت عاد معها وبعد برهة قال:

- قابلت أباك صباح اليوم وراجعنا معاً كثيراً من الأمور المتعلقة بالمزرعة. لكني سأحتاج إلى مساعدتك لي في الأسابيع القليلة القادمة يا كاسندرا.

تحدجته كايتي بنظرة حانقة وسألت نفسها عما عساها أن تفعل. هل تسجد عند قدميه شاكرة له إنقاذ بعض الطرق إنها كعدالة منه في حين أن الطرق كلها يجب أن تكون لها ومن حقها؟ لذا قالت له بلهجة التهكم:

- ولن أكرم منك أن تقول هذا، خاصة وأنه موجه إلى أنثى!

وعندما رفع حاجبيه مستغرباً تابعت كلامها قائلة:

- يؤسفني أن أخبرك بأنني سأذهب إلى هاريسون لإصلاح الإطار وأنني سأتناول الغداء هناك.

واستدارت كايتي وانصرفت تاركة لأبيها مهمة الترحيب بالضيف الجديد، لأنها أدركت بينها وبين نفسها أنها لن ترحب به ولن تتفوه بأي كلمة ترحيب زائفة لا تشعر بها نحو هذا الرجل الدخيل وغير المرغوب فيه.

وعندما أدارت السيارة نحو الطريق رأته ينظر إليها، ورأت مظهره ينم عن غضبه من سوء أدبها معه ووقاحة تصرفها، ومع ذلك كان رأسه يميل قليلاً إلى الجنب في يسر وكأنه يستعجب لأمر طريف جداً.

وبعد عودة كايتي من المدينة قابلت سيسي وهو في طريقه إلى [illegible] الحقل، ورأت كايتي [illegible] موضوعة في السيارة [illegible] الأخيرة [illegible]

وعندما أنزل سيسي الصفيحة لإعادتها إلى مكانها الأصلي سألته:

- ماذا تبدو عليك الكآبة اليوم؟

ردت عليه بعظمة [illegible] من ملامحه:

- [illegible]

- ماكاليستر! قلت: ماكاليستر؟

ثم أخرج منديلاً من جيب بنطلونه وتوقف عن عمله لبرهة قصيرة وقال:

- يبدو أنك قابلت الرئيس الجديد. ما رأيك فيه؟

- إنه ليس كبيراً بل فارع القامة فحسب.

واستدارت كايتي بلا بأس واستندت على السيارة. وقالت وهي تنزل إلى

«إنه يا سيمي أمر لا يعنيك».

وبعد أن استعرضها سيمي إلى الحديث، فيما هي تغص عليه معاملته لها في الطريق من العام، احتفظ سيمي بهدوئه الخارجي بينما أطلقت بهاء الرجل الضحكة في مكانها، وهو يلاحظ الأسى في صوتها بسبب غضبها من السيد ماكاليستر. وكان سيمي يعرف أن كاثي لا تحب أن يراها أحد عندما تستسلم لجانب الأنوثة فيها وتبدي الضعف الذي تعتبره نوعاً من الجبن، وأبدت قصصها بحرقة.

«كان الموقف فظيعاً يا سيمي، لقد عاملني وكأنني طفلة غارية الفم وليست لديها ذرة من الحكمة. ولا شك يمكنك أن تتخيل رأيه في أي سيدة تدير مزرعة. لقد شعرت بأنه سعيد وتبدل إلى السيطرة عندما نزل وطلب مني مساعدته».

وسألها سيمي الذي وقف بجانبها

«وكيف عرفت أن هذا هو شعوره؟ إنك لا تشاهدين الواقع! قد يكون فعلاً في حاجة إلى مساعدتك وإرشادك له في عمله الجديد، إنك أنت التي تعانين من مركب النقص».

«كلا، هذا غير صحيح».

«إذن لماذا تأخذين كل عبارة على أنها إهانة موجهة إلى بنات جنسك؟»

قال سيمي عبارته هذه وهو يبتسم ليخفف من حدة كلماته حتى لا تغضب كاثي.

«هذا غير صحيح! كيف نشأ هذا الموقف من أول الأمر؟ لأنني لست رجلاً، ولذلك السطر والذي التعيين شخص لإدارة المزرعة لكي يرضي هؤلاء الرجال في البنك الذين لا يؤمنون بأن في استطاعة المرأة أن تدير مزرعة، ولا بد أن هذا الرجل يتفق معهم في الرأي».

«أرجو أن تعرفيني بهذا العبقري الذي تولى أمر مزرعتكم».

إلا أن الفرصة لم تسنح لكاثي أن تفعل ذلك، فعندما عادا إلى المنزل في المزرعة أخبرت السيدة فيلمور ابنتها بحدة بأن السيد ماكاليستر ذهب ليتفقد المزرعة بمفرده وقد أنبتها أمها على غيابها قائلة:

«كان من واجبك أن ترافقيه بالمزرعة بنفسك يا كاثي».

وبالرغم من النظرة الثائرة في عينيها، فقد خفضتهما خجلاً، فإن لوم السيدة فيلمور القاسي، وتأنيبها قد أشعرا كاثي بتصرفها الصبياني. وبالرغم من كراهيتها للاعتراف بخطئها فقد شعرت لأنها بعبارات الاعتذار، إلا أن الأم قالت:

«لا داعي للاعتذار لي بل عليك أن تعتذري للسيد ماكاليستر نفسه».

تساءلت كاثي بغضب ظاهر

«ومتى سيعود؟»

قالت له: «إن العشاء في الساعة السادسة».

فقال سيمي رداً على عبارة السيدة فيلمور:

«لا يمكنني الانتظار حتى ذلك الوقت، لقد أحضر الليلة لمقابلة رئيس كاثي الكبير».

وابتسم ابتسامة جانبية ساخرة نحو كاثي لمداعبتها وقال لها:

«هل تصحبينني حتى السيارة؟»

«مع شكري».

هكذا سألها بحرارة بالقائه وهو يستند إلى جانب الزريبة حيث كانت كاثي تحلب بإبريق حليب.

«لا أدري، فهو مدير البائعة، ربما ست أعوام وربما أو بوستون أي يأتيك مزارعي في الطريق».

وحاولت إخفاء تبرمها المتزايد بأسئلة أخيها واستطردت تقول:

«سيبدو بعضهم مغروراً متعجرفاً، ويغلب عليه التهكم، ولكن ما أهمية شكلهم؟»

ولم يهتم «مارك» بسؤالها وعاد يقول:

«وكم عمره؟»

«كيف لي أن أعرف ذلك؟ إنني لم أسأله أو أطلب منه توضيح هذه الاحصائيات التي لا تهمني».

«حسناً، حاولي أن تخمني سنه».

«لعله في أوائل الثلاثينات».

ورمقت «كايتي» على جانب البقرة وهي تزيح الرماد من تحتها وتهم واقفة وقال «مارك» وهو يأخذ الرماد من أخته:

«يبدو أنه رجل مسلٍ».

«يا إلهي، يا «مارك» إنك تتكلم عنه كأنه المنقذ. الآن [illegible] إنه مجرد [illegible] التنكر والمنحرف لأحد المزارعين الأغنياء، والذي يحاول محاولة الظهور كأحد رعاة البقر».

وعندما سمعت «كايتي» صوت سيارة قادمة إلى الفناء بصحبة نباح الكلب قالت:

«قد يكون هذا هو الرجل العظيم».

واتجه «مارك» نحو الباب لكنه أخطأ في سيره عندما [illegible] «كايتي» من سكب الحليب، وظلت في الزريبة أطول مدة ممكنة تشغل نفسها بالخيول التي سبق أن أطعمها «مارك» قبل أن تتجه أخيراً للمنزل. وكانت الساعة وقتئذ تقترب من السادسة عندما تقول والدتها أن العشاء سيكون معداً في الساعة السادسة [illegible] فعلاً بعد في مرتبه وقد أفلحت في محاولتها التأخر فعندما دخلت إلى المطبخ لم يكن «المستر ماكاليستر» هناك، وبسرعة بدأت «كايتي» في

الغسيل، تمسك يديها قبل محاولة والدتها في وضع الأطباق الساخنة على المائدة. وبعد ثوان دخل «مارك» الغرفة وبعده مباشرة «المستر ماكاليستر». وحاولت «كايتي» ألا يتجه نظرها إليه، لأنها شعرت بالغضب والضيق والتفاهة ومع ذلك كانت كل حواسها منتبهة إلى وجوده. فرائحة الصابون وعطر الحلاقة كلها تمتزج برائحة اللحم المشوي ومن ركن عينها رأت الأزرق الناصع بين بياض قميصه ولون شعره الداكن الذي كان لا يزال يلمع بسبب ابتلاله بالماء بعد الحمام. كما سمعت صوت سحب كرسيه على الأرض وهو يجلس أمام المائدة، ونبرة صوته العميق وهو يرد على أسئلة «مارك» بحسم واهتمام.

وعندما تم وضع جميع الصحون على المائدة لم يكن أمام «كايتي» مناص من الجلوس هي الأخرى. وكان الكرسي الوحيد الخالي هو الذي على يمينه، وألقت نحوه بابتسامة وهي تعلم جيداً زيف هذه النظرة. وكانت نظرته الرمادية تطاردها وهو يتناول [illegible] ورأسه [illegible] عن [illegible] ونقلت إليه «كايتي» البطاطا وهي ترفع ذقنها متعمدة، وكانت متأكدة أن الرجلين يلاحظون صمتها، إلا أن أسئلة «مارك» كانت لا تنتهي بحيث ملأت الفراغ الذي خلقته هي بسكوتها.

«أرجو أن تقص علينا ما تعرفه عن استراليا».

قالها «مارك» وهو يحث الضيف على الكلام، بينما يأخذ قطعة كبيرة من البطاطا رغم نظرة أمه التي تحمل معنى التأنيب على تصرفه الصبياني.

«هل تشكل مزارع الماشية هناك؟»

[illegible] قالت [illegible] بصوت [illegible]:

«كانت المزرعتان اللتان زرتهما هناك تقعان في أواسط استراليا، والأرض هناك منبسطة ويوجد بها [illegible] قليل من الزراعة. وعمل الناس هناك لا يختلف كثيراً عن عملنا هنا. وكل ما هناك هو ضرورة التعود على الاصطلاحات التي يستخدمونها فالمزارع مثلاً اسمها «المحطات» وهكذا. وبسبب اختلاف

الفصول عندهم لا يطلقون المراتب بالكثرة والحروب كما نفعل نحن. أما إذا طلبت لحماً في مطعم لا أظنه طرياً كاللحم الذي تعودت عليه هنا بالرغم من أن نكهته جيدة».

«هل رأيت كثيراً من حيوان «الكانغارو»؟»

ونظرت «كاتي» إلى «فليت» نظرة تنصحه بها أن يستمر في احتكار الحديث كله بمفرده، ومع ذلك تابع كلامه مع «مارك» بصورة اعترفت «كاتي» لنفسها بأنها متألقة إذ قال:

«نعم رأيت عدداً منها وهي تعتبر من الحيوانات الممتعة. أما أشرس الحيوانات البرية فهو «الدنجو»».

وأراد «مارك» أن يستعرض معلوماته فقال، وكل انتباهه موجه إلى «فليت»:

«هل هي أحد أنواع الكلاب المتوحشة؟»

«إنها تتزوج من الكلاب المستأنسة مما يجعلها ذكية بحيث يصعب صيدها، وهي تقتل في قطعان كبيرة، وتجوب المناطق الشاسعة وتهاجم العجول والمواشي المربوطة و«الدنجو» يشبه الذئب، إلا أنه أكثر شراسة إذا حاول أحد مطاردته».

وانتهى العشاء بسرعة بينما استمر «فليت ماكاليستر» يقص أحداث تجربته في السنة التي قضاها في «استراليا» واكتشفت «كاتي» رغماً عنها أن إعجابها لا يقل عن إعجاب أمها وأختها بحديث «فليت». ففي خلال تناول العشاء تعلمت عن «استراليا» أكثر مما تعلمته من كتب الجغرافيا بالمدرسة، وذلك بفضل مقارنة «فليت» بين الحياة وبين مثيلتها في ولاية «تكساس» التي تعرفها جيداً. ومع ذلك ظلت محتفظة بشعورها الذي لا يدل على الاهتمام بما يقول، بل والذي يتسم باللامبالاة.

وأخيراً قال «فليت» وهو يشرب آخر قطرة من فنجان القهوة:

«لقد كانت وجبة شهية جداً يا سيدة «بالمر»».

فقالت له «لوسيل بالمر» والابتسامة تشع في وجهها:

«إننا في هذه الأسرة نتعامل بأسمائنا المجردة يا سيد «ماكاليستر». لذا نادني باسم «لوسيل»».

«إذن يجب أن تنسي لفظ السيد «ماكاليستر» وتناديني باسم «فليت»».

ورأت «كاتي» كيف حركت الابتسامة وجهه من تعبير الواثق من نفسه في تهكم، إلى طفل ساحر لا يقاوم، وهو يقول:

«بما أن هذه أول ليلة لي هنا، وربما لا تسمح لي الفرصة لتناول العشاء ليلة أخرى بدون أعمال كتابية، أرجو أن أعفى من تقديمي لضيافتكم وذلك بمساعدتكم في غسل الصحون».

قطعت «كاتي» شدة الصمت الذي فرضته على نفسها:

«إنني أقوم بهذه المهمة بدلاً من والدتي».

غير أن «مارك» علق على كلامها قائلاً:

«وهي تكره هذه المهمة غاية الكراهية».

وكانت عبارة «مارك» في محلها لكنها عملية وضعها هو «كاتي» عليها تتكلم بها عن عدم ممارستها لواجباتها في شؤون المنزل.

«في هذه الحالة لا بد أنها سترحب بعرض المساعدة».

ورغم نظرة «فليت» الفاتنة وهو يقول هذه العبارة، إلا أن «كاتي» شعرت بالضيق من قبله.

وكانت ترفض مساعدته، إلا أنها لم تستطع مقاومة رؤيته وهو واقف أمام الحوض الممتلئ بالصحون المتسخة وهو يرتدي مئزر والدتها المزركش حول خصره جعلت عينيها تتلألآن في خبث ودهاء وهي تقبل مساعدته بدلال زائف.

وبدأت عملية غسل الصحون في صمت وقد اختار «فليت» أن يقوم هو بمهمة الغسيل لأن «كاتي» تعرف مكان الصحون بعد تجفيفها، والغريب أن

فليت بدا منشرحاً، وهو واقف أمام الحوض، وكان يشعر برغبة كاسي في الاحتفاظ بالمشاعر الودية بعيداً وقصر الكلام على الرسميات، فقال أخيراً مبتسماً

مسحتها

«لاحظت أن التبن في الحقل الغربي جاهز لتحصده.»

ولعدم رغبتها في موافقته على كل ما يقوله، ردت عليه بتفاؤل قائلة

«ربما الأفضل أن نحصده في نهاية الأسبوع القادم، ويبدو أن الوقت مبكر إلا أننا حصدنا نفس الحقل في الأسبوع الثاني من حزيران بعينه في العام الماضي.»

«إن طائرتكم ليست لها رخصة، وأريد أن ألقي نظرة من الجو على المزرعة بأسرها حتى أكوّن فكرة شاملة عن مواقعها.»

وأحست كاسي بنظره يتوقف على وجهها برهة ثم قال:

«هل يمكننا استعارة طائرة من الجيران؟»

«أعتقد أن آل سميث سيسعدون لإعارتي طائرتهم في أي وقت، ولا أعرف شعورهم نحو إعارتها لشخص غريب.»

وسرها إيلامه، ولو أن الملاحظة لم تنجح في اختراق حاجز ثقته بنفسه فعاد يقول:

«لا أستطيع أن أقودها بنفسي. قالت لي والدتك أنك معتادة على قيادة الطائرة كاعتيادك على ركوب الخيل.»

والتمعت عيناه الرماديتان بنظرتها التي عرفتها الدهشة في شيء من التسلية

«طبعاً لا أستطيع رؤية الأراضي جيداً إذا كنت خلف عجلة القيادة.»

وقلدت لهجته:

تنهدت كاسي. أنا سأكون قريبة من ذلك الرجل لمدة ساعتين أو ثلاث. كما عرفت يزيد من الصعوبة أن تخفيه عن المزرعة سيكون مفيداً لنا. سألته:

«متى تريد مني تدبير أمر هذه الزيارة؟»

«بعد غد.»

شرقت بعد كاسي وهي تسحب صحناً من الماء. إذ بدا لها أنه لن يمنحها الوقت الكافي لتعتاد على فكرته.

«سأسألهم إذا كانوا في حاجة إلى استخدام طائرتهم غداً.

ربما يحتاجون إليها.»

عادت كاسي إلى عملها في تجفيف الصحون، فوقفت على أطراف أصابعها ومدت ذراعيها نحو الرف الثالث من الخزانة المعلقة فوق الحوض، ممسكة بالصحن في يدها، بينما حاولت أن تزيح بعض الأواني عن طريقها باليد الأخرى. لوقع على رأسها عدد من الأطباق البلاستيكية بينما كانت تسحب الأواني الزجاجية نحو الرف، الأمر الذي أدى إلى سقوطها عليها. لوت كاسي ثقلها على الحوض وهي تحاول أن تطيل قامتها ما أمكنها بينما أخذت تزيل انزعاجها يغوص في مياه الغسيل. وبينما تحاول إيجاد طريقة لإنزال الصحن ثانية وإعادة الأواني من الوقوع، لاحظت أن فليت سيحجب خروج موالها.

لقد أتاح له طوله الفارع أن يصل إلى الرف الثالث بلا عناء، ولكن، ليفعل ذلك، اضطر أن يقترب بجسمه فوق رأس كاسي. وعندما لامس جسمه بعضلاته القوية جسمها أحدث لديها توتراً قوياً بينما حاولت هي السيطرة على القشعريرة جسمها حينما لامسها. وسمعت في الخارج صوت باب يغلق، وصوت مارك وهو يرحب بالزائر القادم.

«أهلاً يا سميتي. كنت متأكداً أنك ستحضر الليلة.»

واستطرد مارك قائلاً بصوت كان يرن في المطبخ بوضوح:

«سيعجبك الرجل الجديد كثيراً من الناحية. فهو الآن في المطبخ يساعد كاسي في غسل الصحون.»

وكان فليت قد أخذ الأواني الزجاجية ووضع الصحون بداخلها. واستطاع

وجه كاتي بلون أحمر عندما نظر إليها فليت وجالت بخاطر كاتي رغبة شديدة في أن تخرج إلى الشرفة وتختبئ أخفاها الصوت العالي الذي أحرجها، إلا أنها اضطرت أن تجمع أغطية الأواني التي تبعثرت على الأرض.

وقال فليت وقد عاد إلى الخرطوم والصحون الباقية لديه:

— هل أفهم أن صديقك قد وصل؟

— إنه سيمبتي، أقرب جيراننا إلى بيتنا.

وحاولت كاتي أن تسيطر على الغضب يبدو بعد أن أثارها بعراكه وتصلاته.

— هل هو الذي سنستعير منه الطائرة غداً؟

— نعم.

— حسناً، سنعرف الليلة إذا كان في إمكاننا الحصول عليها.

٦ ـ طائران في الهواء

حاولت كاتي جاهدة أن تحتكر سيمبتي ما أمكنها، وتسيطر على الحديث معه في تلك الليلة لتنفس عن نفسها وتنتقم من فليت، وتعمدت أن تدير الحديث عن أشخاص وأماكن لا يعرفها غيرهما حتى تحرج فليت وتتركه جاهلاً لما يقولان. إلا أن سيمبتي لم يساعدها على ذلك، إما بسبب غبائه أو عناده، بل أخذ يدير الحديث ويعود به مراراً لموضوع الزراعة وتربية الماشية. وجلست كاتي في صمت متضايقة وهي تستمع إلى مواضيع البذور والري والعلف وتأثير الجو على الزراعة والماشية. كما أن فليت لم يعطها الفرصة لتطلب موافقة آل سميث على استعارة طائرتهم للجولة التفتيشية. فبسؤال بسيط مهذب حقق فليت مطلبه وكاد سيمبتي يطير من الفرح لتلبية طلبه. وعندما وجدت كاتي نفسها وحدها مع سيمبتي بعد أن تركهما ماكاليستر، أخذت كاتي تؤنب سيمبتي على لطفه الزائد له:

— الطريقة التي وعدت بها بإعارته الطائرة كلما احتاج إليها كانت طريقة مبتذلة ومقززة، وتخيل إلي من فرط احتفائك به أنك تريد أن تعلق لافتة تقول فيها إن طائرتك ماكاليستر كان يجلس هناك.

قالت لها سيمبتي وقد ضاق ذرعاً بتصرفاتها وغيرتها من فليت ماكاليستر:

— لماذا تبالغين في الأمور هكذا؟ أنت تعلمين أن طائرتنا كانت وما زالت دائماً تحت تصرفكم منذ أن تعطلت طائرتكم، ويبدو أن السيد ماكاليستر لم يعلم بذلك.

-والواضح أنك لم تخبره، بل صورت له الوضع وكأنه من الصعوبة بمكان

فكل ما تعلمه أنا أني طمأنته على استعدادك لمساعدته كلما احتاج إليك.

فسرت - كايتي - من عبارات - سيمبي، وشعرت أنها تقف وجهها لوجه

ثلبث ماكاليستر، ففي يوم واحد رأت النهار أشبها الأصغر به، وتأثر أمها

بطرقه وآرائه ووساوسه، والآن ضاع أملها تماماً بانضمام - سيمبي - إلى مشروع

الجيبون.

انساب السحاب الأبيض فوق الطائرة بينما انشغلت - كايتي - تنظر نحو

الرجل الجالس في الكرسي المخصص للركاب، وعندما نظرت في العينين اللتين

كانتا ترنوانها وتحتلان عينيها الخضراوين كلما ازدادت أفكارها كآبة، لقد مرت

ساعة وهما طائران في الهواء.

تساءلت - كايتي - من نظراته وسألته، محاولة ألا يمر عليها الغضب من

صوته فيها، وكأنها تريد أن تنتهي من تلك الهيئة الصعبة وهي البقاء معه في

مكان واحد.

-هلا تريد أن ترى غير ذلك؟

فأجابها وكأنه لا يأبه إلا بالمهمة التي أمامه والتي جاء من أجلها:

-هيا نحلق مرة أخرى فوق الأرض الموجودة في الجزء الجنوبي، وأرجوك أن تطيري

على ارتفاع منخفض هذه المرة.

وأومأت برأسها تعبيراً عن موافقتها، وبمهارة مالت بجناح الطائرة قبل أن تتم

دورتها، ثم استوت على ارتفاع لثلاثة قدم فوق سطح الأرض. كان الطيران أحد

الأشياء التي تحبها - كايتي - وكانت فرحة ومسرورة لاستجابة الطائرة إلى

لمساتها الرقيقة كاستجابة الجواد المدرب لإشارات صاحبه، كما أن الطيران يمنحها

شعوراً بالانفصال عن متاعبها، التي الطائرة الصغيرة هذه، لا يوجد شيء على

الأرض. وقال لها - ثلبث، بدون أن ينظر بعيداً تلك النافذة

-إنك طيارة ماهرة.

فأجابت بهدوء وبلا غرور، بل بثقة:

-أعلم ذلك.

-قال لي والدك إنه لا يمكن الاستغناء عنك في المزرعة، ويبدو لي أنه من الذين

يقولون ما يعنونه.

فأجابت - كايتي - بثقة المرأة الواثقة:

-نعم، هو من ذلك النوع.

وشعرت - كايتي - بشعور دافئ من الفخر بأبيها، وبالمديح الذي وصفها به.

وبدا لي في ذياتها الطائرة أن تعانق الهواء، وتطير في خط مستقيم، وقالت

لثلبث - الذي أخذ ينظر إليها:

-الأرض في الجانب الآخر.

وعاد - ثلبث إلى موضوع والدها فقال:

-ويعتقد والدك أن في استطاعتك إدارة المزرعة بمهارة وكفاءة.

فقالت - ثلبث - وهو ينظر من النافذة التي تجلس بجانبها إلى - ساعة هيلر

ثرثرت بحزن وهي تقابل نظراته بثبات، وتحاول ألا تخرج عن الموضوع الذي أتيا

من أجله:

-هل تريد أن تشتري المزرعة؟

-هذا هو بين ما أريده.

-والأرض الأخرى؟

-دعيني في معرفتك أكثر مما أعرفك الآن يا - كاسانترا.

-قالها ببساطة مع وجود لهجة جافة في كلماته، أشعرت - كايتي - بأنها الهدف

الأساسي من الرحلة.

وكنت متأكداً من أنني إذا عرفت الطرف معك في المزرعة، ستعرفين مني كما

أعرفك أنا.

ونظر حوله داخل الطائرة واستطرد يقول:

فاشترى بأنه لا يمكنك الهروب مني الآن.

عندها تكلم بصراحة يا سيد ماكاليستر إنني لم أرحب بقدومك إلى المزرعة ولم تكن دعوتك لمعاونتنا فكرتي أو فكرة أبي. بل هو البنك الذي أراد رجلاً في موقع الرئاسة.

وتعمّدت كاسي وهي تتكلّم أن تضغط على لفظ رجل.

«وبصراحة لم تعجبني قبل أن ألتقيك أما الآن فـ...»

فأتم فليت عبارتها قائلاً:

«ما زلت لا أعجبك. تصرفاتك أوضحت مشاعرك. لكن لا بد من وجودي هنا مؤقتاً.»

«يا له من سوء حظ لنا نحن الاثنين.»

«إذا كان هذا موقفك دائماً، فأمامنا شهر عصيب في منتهى الصعوبة.»

ونظر فليت إليها في تساؤل، وأتمّ كلامه قائلاً:

«ألم تقبلي الواقع بأنني مجرد بديل مؤقت لوالدك؟»

فقالت كاسي في قرارة نفسها: إنك لن تستطيع أن تملأ مكانه.

وعاد فليت يقول:

«الأمر متروك لك. ففي إمكانك معاملتي كغريب أو كدخيل في المزرعة مثل جيرانك آل سميث. وفي الحالتين أود أن أذكرك بحكمة هندية قديمة تقول «لا تحكم على إنسان قبل أن تمشي عشرة أميال في حذائه» أي حتى تضع نفسك في مكانه وتشعر بشعوره.»

فاشتدت قبضتها على عجلة القيادة وهي تتعجب من فلسفته المتغطرسة. فجزء منها يعترف بصدق عبارته. أما الجزء الأكبر فتبرم لاضطرارها إلى الاشتراك في أي حديث معه.

«بإمكانك على الأقل أن نحاول إنجاح موقف لا بد لنا منه. والآن، هل أقود بالطائرة إلى المزرعة؟»

أومأ فليت برأسه، وأسرعت كاسي قائلة:

«معذرة يا أبي، من الآن فصاعداً أرجو أن تناديني باسم كاسي. لكني لا تناديني بعد الآن باسم كاساندرا فإني أكره هذا الاسم.»

طمأنهم الطبيب أن حالة فيلمور تتحسن، واعترفت كاسي عندما رأته أن روحه المعنوية ممتازة. فبعد الخروج من الكنيسة تطوّع فليت بأخذ كاسي ووالدتها و... إلى سكوتسبلاف واستأذن السيدة فيلمور في أن يتابع مسيرته لزيارة والديه في أوغالالا ثم يعود ليصطحب آل فيلمور في المساء بعد موعد الزيارة في المستشفى. وبسرعة رحبت الأم بالفكرة ووافقت عليها.

ولاحظت كاسي عودة اللون إلى وجه والدها عندما دخلوا عليه في غرفته بالمستشفى، كما لمعت عيناه وهو يمسك بيد زوجته ويقبّلها بحنو ورفق. وعندما تبادلا عبارات الشوق، شعرت كاسي بمتانة الروابط العائلية المربوطة بينهما ولم يفتها أن تنظر إلى فليت ماكاليستر لترى إذا كان سمع تبادل تلك العبارات. وكان فليت قد أوصلهم إلى الغرفة عملاً بأصول الأدب والاحترام، ورغبة منه في زيارة جون فيلمور.

وتأكدت كاسي من تعبير الجاد المحترم بأنه سمع ما دار بين الزوجين من كلمات الحب والشوق. ورغماً عنها تأثرت لبعده وأدبه بعيداً عنهم حتى يعطي الأسرة فرصة تبادل التحية. ورغم أنه شخصياً كان تواقاً إلى أن يحيي جون فيلمور قبل انصرافه لزيارة أسرته.

وأخيراً صافح فليت اليد الممتدة إليه وقال:

«يبدو عليك التحسن يا سيد فيلمور.»

وبينما كانت كاسي ترى فليت يكلم والدها بهذا الاحترام، وكانت تتساءل لو اتبع معه نفس روح التعالي التي اعتادتها منه أي الطريقة التي لا يمكنها أن تولد نظرة الإعجاب التي لاحت في عيني أبيها.

فأجاب الأب معترفاً بسماحة الزائر

«أشعر بخير وتحسن. واسمي «جون» فقط يا «ليندة»».

وابتسم «ليندة» وأومأ برأسه، معبراً عن موافقته لإزالة الرسميات بينهما وقال:

«إنني في طريقي لزيارة والدتي وأردت أن أطمئنك بأن كل شيء يسير على ما يرام في الزريبة باستثناء بعض الوجوه المجهولة والعبوسة لغيابك».

وجال بنظره حول أرجاء الأسرة ليفسر معنى عبارته، غير أن «كايتي» شعرت أن نظرته توقفت واستقرت عليها مدة أطول من غيرها، ومع ذلك لم تترك نفسها تشعر بالقلق لتصرفاته. وابتسم الأب وقال:

«إنني أقدر زيارتك لي. ولا شك أنك تريد الإسراع لزيارة [illegible]، لذا لن أعطلك بأسئلتي الكثيرة. وإنني سأتركها لـ«كايتي»».

وتركهم «ليندة» وهو يقول إنه سيعود الساعة الثامنة، غير أن أباها لم يلق عليها أي أسئلة التي توقعتها إذ أن آل «سميث» كانوا قد وصلوا بعيد انصراف «ليندة».

وعندما صافح الوالد «سميتي» قال له مازحاً

«كنت أعتقد أن أعرف سبباً لارتداء «كايتي» فستاناً اليوم ففكرت أولاً أنه مرتبط بي، ثم ظننت أنه مرتبط بـ«كاليستر» ثم ظهرت أنت يا «سميتي» فزادت حيرتي».

واحمر وجه «كايتي» من الخجل والغضب وهي تنظر إلى فستانها، وكان طرازه مثل فساتين الأربعينات، بياقة مستديرة وأكمام قصيرة تصل إلى منكبيها إلا أنه كان أقصر بكثير من الطراز القديم. وكان الزي يلائمها تماماً، بعكس لونه الذي كان لائقاً بالنسبة إليها. وقالت «كايتي»:

«ارتديت الفستان عند ذهابي للكنيسة يا أبي. إلا تعرف كيف لا يرغب الأب «كارل» برؤية البنطلون».

حقاً، إذن هو السبب».

إلا أن رد عيني الأب على ملامحها ورقتها ونصحت «كايتي» من نفسها لأنها لم تستطع مجاراته في مزاحه، وحتى في مداعبته لم يعجبها أن يفكر والدها بأنها ارتدت الفستان لتؤثر على «ليندة». وكانت هي الوحيدة التي لاحظت عبارة أبيها غير أنه سرعان ما نسي الموضوع واستراحت «كايتي» منه.

كان والدها محصوراً في المنطقة التي يعيش فيها. لذا جاء لزيارته عدد كبير من أصدقائه يوم الأحد فكانت في غرفته حركة تنقلات مستمرة حرصاً على اتباع تعليمات المستشفى بألا يزيد زوار المريض في المرة الواحدة على عدد معين. والوحيدة التي لم تتقيد بتعليم الزوار هي «لوسيل غيلمور» فقد أمسك «جون غيلمور» بيدها وأبقاها بجانبه طوال الوقت.

وعندما أخذ آل «سميث» يستعدون للرحيل عصراً وصل «جيري غيلمور» فانتهز «سميتي» الفرصة وتوسل لـ«كايتي» أن يبقى هو وبرفقته في طريق العودة حتى يقضي بعض الوقت مع «جيري». وانتهى الأمر بإقناعهم «كايتي» و«جيري» و«سميتي» بأن ذهبوا لتناول العشاء معاً كما كانوا يفعلون قديماً.

وفي منتصف العشاء، ألح «جيري» عليها قائلاً

«أخبريني عن ذلك الرجل الجديد، فقد أعطاني أبي فكرة عن علاقته. لكن ما هي حقيقتها».

نظر «سميتي» إلى «كايتي» نظرة ثاقبة قبل أن يوجه كلامه إلى «جيري»:

«إنه ليس لطيفاً بالصورة التي كانت تصفها «كايتي» فهو في الواقع رجل عظيم. ذهبت إلى الزريبة عدة مرات هذا الأسبوع وأقسم يا «جيري» أنه لا توجد طريقة عجيبة في إدارة المزارع لا يستطيع مناقشتها ومحاسنها ومساوئها. ومع ذلك لا أراه متعالياً أو متكبراً بسبب شهرته، بل هو طبيعي جداً وبسيط للغاية. فـ«كاليستر» لا

يعلق عليك في كلامك أبداً.

وتوقف "سميث" عن الكلام ونظر إلى "كاتي" يتردد قبل أن يستأنف حديثه:

-إن حياته ليست كلها مليئة بالعمل، ويوحي إليك منظره أن له اهتمامات أخرى بالمجتمع والأفراد، على نقيض ما أعتقد.

وسأله "جوني" وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ونظرة ساخرة صوبها إلى أخته:

-هل هو وسيم؟

ورمت "كاتي" بنظر طرفتها الخالية من الحياء كلما جاء ذكر "فليت" وما كان يعجبك منشده.

فأجاب "سميث" وهو يضحك معلقاً على كلامها:

-لا تصدقيها، إنه من الصنف النحيل الخشن الذي يبدو وكأنه حفظ قوته من شدة المحنة، وأعتقد أن في مقدوره أسياد عدد من الفتيات اللواتي ينتظرن منه إشارة بسيطة.

فصاحت "كاتي" بغضب:

-أنت مقرف، وبرغم ما ستقولين أنت أيضاً مغامراته ونزواته. إنهم لا يهتم ثبت بسمعة المرأة. لذلك يجب أن نحترمها ونحترم سمعتها.

فنظر إليها "جوني" باستغراب كبير وقال:

-ماذا لنا حتى تستحق كل هذه الثورة؟

فهز "سميث" رأسه وقال:

-لا تلتفت إليها، فما عنده إلا ذكر اسم ذلك الرجل حتى تثور. فأول مرة رأته كانت مسرعة في الطريق العام والغبار إطار سيارتها فأثنيها وأعطاها درساً في أصول القيادة، ومنذ ذلك الوقت وهي ثائرة عليه.

فقالت "كاتي" وهي تحتج على كلامه:

-لا علاقة لذلك الحادث بشعوري نحوه.

وأتت بالورقة على الكتابة، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منه بعض النقود وأعطتها "لسميث" وهي تقول:

-سأعود لأني في المستشفى ما هو أهم من حاجاتي، وسنلتقي الليلة هنا كما يحلو لكم.

وحضر "فليت" في الساعة الثامنة تماماً ليصحبهم إلى المنزل. ولم يعلق على ركوب "سميث" معهم في مقاعد وهو يفتح باب السيارة الخلفي لسميث و"كاتي" و"مارك". لم تحاول السيدة "فيلمور" في الركوب في المقعد الأمامي قبل أن يجلس هو أمام عجلة القيادة. وبسرعة اشتركت السيدة "فيلمور" في الحديث معه عن زيارته لواكبه، بصوت خافت لم تشترك فيه ركاب الجزء الخلفي من السيارة، الأمر الذي سرت له "كاتي" كثيراً إذ جنبها اضطرارها للحديث معهما.

جلست "كاتي" خلف السائق بجانب النافذة بينما جلس "سميث" في الوسط و"مارك" في الجانب الآخر ولاحظت "كاتي" أن "سميث" كان صامتاً بصورة غريبة. فلما أخرج "مارك" "الراديو" من جيبه وأداره بصوت خافت مستنداً على الباب وواضعاً الراديو على أذنه، وأخذت "كاتي" تنظر من النافذة وراء الشمس يلونها البرتقالي وهي تغرب من المغيب، وشعرت بالحزن والقلق لسبب لم تفهمه وتحولت عيناها إلى الرجل الجالس أمامها، وأخذت تنظر إلى شعره الذي بقصته التي وصلت إلى ياقة سترته الزرقاء، وشعرت بذراع "سميث" تلتف وراءها، والتفتت إليه والابتسامة الحلوة تضيء وجهها وقالت:

-عزيزي الطيب "سميث".

ثم أعطت يده التي استقرت على كتفها ومست أطراف أصابعه، ولسبب غير معروف إلا لعقلها الباطن، حولت نظرها إلى المرأة الشابة بجوار السائق. فرأت "فليت" يحدجها بعينيه الداكنتين اللتين تبعثان شرر الغضب مثل سحب العاصفة العالية وأعطتها العنف الذي رأته فيهما وفي تلك اللحظة كانت الأم

شيئاً للسائق لم تتبينه «كاثي» فاختفت النظرة التي كانت في عينيه وهو
يلتفت ليرد عليها. أما نظرة الغضب التي بدت في عينيه عندما رأى مداعبتها
الرزينة لـ«سيمي» جعلت «كاثي» تتعمد التصاقها أكثر بصديقها، وبعد ذلك
بضعة دقائق عادت لتختلس النظر في المرآة من خلال أهدابها الرمشية ورأسها
يستند على كتف «سيمي»، وهذه المرة رأت عيني السائق، وهما تلتقيان بعينيها،
كانتا بلون رمادي فاتح، ترتسم فيهما نظرة تدل على عدم الاهتمام.

وسرعان ما انتابت «كاثي» حالة تشبه النوم بسبب هدهدة ذراعي «سيمي»
وظلام الليل المسدل، وعندما عبرت أسبانيا صرت إيقاعها الرتيب، وتحققت
من سرعتها لاقترابها من المنزل، تنبهت «كاثي» وشعرت بأن حركة تدور «فلينت»
في مقعده وقال:

«أتريد أن أوصلك للبيت الآن يا «سيمي»؟»

نظرت «كاثي» نحوها واعتدلت في جلستها وقالت:

«سيوصله... إلى المنزل عندما نصل إلى حالته»

قال «فلينت» وهي تحاول أن تلتمس سرعة...

بالساعة الآن بعد العاشرة، وتريد الاستيقاظ مبكراً لتقدم البيره»

تنبهت «كاثي» تماماً لما يحمله صوته من انتقاد، لذا لم تكبح استهزاءها
فقالت:

«لا تقلق، مرة سهرت أكثر من الآن ومع هذا استيقظت عند الظهيرة
فتصرف كما تشاء»

وبعد لحظات وصلوا إلى الطريق المؤدي إلى المزرعة، وأطلت السيارة تحت
عامود نور الفناء، وتبادل الجميع تحية المساء، قبلت «كاثي» أمها، وأحست
بإثارة مرتعشة وأحست بتثاقل «فلينت»، ثم جلست في مكان القيادة في
السيارة التي نزل منها «فلينت».

ورفع «فلينت» أصبعيه لتحية «سيمي» وقال له:

«يحاول أن يجعلها تقود السيارة بحذر».

وبعد ثلاثة أرباع الساعة عادت «كاثي»، وكان المنزل مظلماً إلا من
مصباح الشرفة، وتسللت «كاثي» إلى المنزل بهدوء، حتى لا تزعج أحداً، ورأت
خطاً من النور منبعثاً من تحت باب غرفة المكتب التي كانت تستخدم الآن
كغرفة نوم ومكتب «فلينت»، وأصدرت أحد الألواح الخشبية التالفة تحت الشبح
زمجرة عالية وهي تحاول أن تخطو بحذر فوقها، وفجأة امتلأت الغرفة بالنور لها
عدا المكان الذي وقف فيه «فلينت» بالباب، فلوحت له «كاثي» وبادرته
قائلة:

«ما كانت هناك حاجة لكي تنتظرني»

وكانت غاضبة، لكن لم يكن ذلك هو السبب في احمرار خديها بل كان السبب
النظرة التي أخذت تتفحص وجهها بدقة وكأنه يرى آثار عناق «سيمي»، وتوترت
عضلات خديه وهو يقول:

«لقد كان من عادتي أن أنتظر... لكني... الآن أريد أن أتأكد من...
السيارة كما... تحت الأشياء...»

فأجابت... بحنق قائلة:

«إن العاطفة... يستحق الشكر لكنه غير مرغوب فيه، طاب مساؤك يا سيد
«ماكاليستر»»

ورد انتقاده الذي لا داعي له، مرارة أظهرتها في كلماتها إلا أن «فلينت» عن رأسه
لم ترح من الغضب والنوم قبل أن يغلق باب غرفته.

٧ ـ كل عضلة تئن

كان اليوم شديد الحرارة حتى بالنسبة لأول شهر يونيو حزيران، وأحست «كايتي» أن الحرارة لا بد ستتجاوز الأربعين درجة قبل الظهر بكثير، وتنهدت بقلب كليل وهي تفكر أهي الشمس التي تصب على رأسها طيلة النهار أو عدم جدوى تفتيشها هو الذي جعلها تفقد نفسها. وأدارت السوار حول معصمها لتنظر إلى ساعتها عرفا يرفه عنها أن الساعة الرابعة وأن معظم التين كان قد تم حصاده، وكانت موخزة ركبتها لتخفف من حدة التوتر الذي أخذ يتزايد في الأيام الثلاثة الماضية.

ففي السنوات الماضية كانت تستمتع بموسم التين وبالرغم فيه من عمل شاق بالنسبة إلى «كايتي» كانت أحب رائحة إليها هي رائحة التين وحفيف الحصاد. لم تمنت شفتيها من الغضب وقالت في نفسها إنها في هذه المرة لم تحتفظ بمرحها، وذلك بسبب هذا السيد «دولت ماكاليستر»، لكل أمر يحضره كان يثير أعصابها حتى أصيبت بالقلق. كانت عيناه تراقبان كل شيء تقوم به وكان مستعداً لمهاجمتها على أي تقصير يصدر منها بسبب أنوثتها، لكنها أثبتت له عكس ظنه، لأنها استيقظت مبكرة وخرجت قبل أي شخص آخر وبقيت في الحقول بعد عودة جميع العمال. كما تشهد على ذلك كل عضلة تئن في جسمها وكل ما كانت تشتاقه وتتوق هو أن تتركه للراحة. لما جرت قدميها بتثاقل وصعدت درج الشرفة الأمامية ونادت على أمها وهي تدفع الباب المؤدي إلى المطبخ سمعتها أمها فردت عليها قائلة:

«إنني هنا يا حبيبتي»

واستدارت «لوسيل فيلمور» من أمام الفرن وقالت:

«هل انتهيت من عملك؟ تبدين منهكة»

«ضعي لي بعض الطعام في كيس، أريد الذهاب إلى البحيرة»

وحاولت «كايتي» أن يبدو صوتها طبيعياً لكنها أخفقت في ذلك، فقالت الأم بعد أن نظرت إليها مليّاً:

«وبكل سرور»

ثم أضافت قائلة:

«ألم تقابلي وحيد (؟) [illegible] بعد؟»

نظرت «كايتي» إلى أمها وهي تشعر بإخفاقها في إخفاء حقيقة مشاعرها، وقالت في نفسها إن الوالدين لا يجب أن يعرفا ما يدور بخاطر أبنائهما بهذه الصورة. وبدلاً من أن تجيب على سؤال أمها قالت لها إنها ستصعد إلى غرفتها لتغيير ملابسها.

وعند نزولها وجدت كيساً من الورق على المائدة وبجانبه «ترموس» مملوء بعصير الليمون، فابتسمت «كايتي» لرقة أمها التي لبت طلبها بدون أن تحرجها بمزيد من الأسئلة. حملت الكيس وخرجت مسرعة لتركب حصانها آخذة معها صنارة الصيد.

وبعد قليل استقرت «كايتي» بجوار البحيرة، وتركت [illegible] أمامها بعد أن ربطت حصانها يرعى العشب بالقرب منها. وكانت الحجارة التي استخدمتها في إشعال النار قبل ذلك ما زالت مرصوصة في دائرة حول الرماد القديم، كما كانت فروع الشجر الجافة ملقاة جانباً. وبعد قليل أوقدت ناراً وأخذت تنظر إليها في مياه البحيرة. وجلست فوق بطانية سرج حصانها وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها لتسند ذقنها عليهما في استرخاء، وامتلأت عيناها بدموع لم تستطع منعها، دموع القلق والغضب معاً. وقد استرخت عضلاتها المتعبة بالاستمتاع بتلك المشاعر التي أخذت تعم

وقررت «كاثي» عدم الاستسلام لهذه الدموع الصبيانية، وبينما هي تحبس عبرة من عبراتها أقسمت أنها لن تدع «مارك» يتسبب في مضايقتها بعد الآن. لكن المشكلة لم تكن فيه هو بل في كونها تلك فتاة بمفردها بعد أن تخلّت عنها أسرتها في موقفها معه، ثم تجاهلها «ستيف»، والآن في يوم «سام» فكيف لها أن تحاربه وحدها؟

وبينما هي تتألم من مضايقته، سمعت صوت حوافر حصان يقترب فقالت في نفسها: إذا كان «مارك» قد تبعني إلى هنا فإنني سأقتله

وبدأت تمسح الدموع في عينيها سمعت صوتاً يقول لها:

هل أضعت شيئاً؟

لم يكن «مارك» بل «ستيف» ونمت إليها نوبة الغضب وقفت واقفة وهي تصرخ فيه قائلة:

هل من الضروري ملاحقتي في كل مكان؟ لماذا لا تتركني وشأني؟

ورأيت بطلك النار ولم أعلم بوجودك هنا، فأول خاطر طرأ بذهني هو أن حريقاً قد اندلع في الأعشاب فجئت لأرى ما حدث.

غير أن صوته الحزين وارتجاف عضلات صدغيه لم تقنع «كاثي» بسبب تحديه فارتجف جسدها من الغضب وهي تقول:

عندما تأكدت من أنه ليس حريقاً كان يجب أن تعود من حيث أتيت.

وشعرت به يقترب منها لكنها لم تر الغضب في عينيه إلا عندما صار بجوارها. كانت عيناه الرماديتان تحملان الحزن وامتدت يده فأمسك بمعصمها وأدارها نحوه بعنف ودفع بها للأمام.

أترين هذا النبات؟

وتبعت عيناها أصبعه للنظر وبلا إرادة أطاعت صوته ونظرت إلى النبات الذي بالشوك، وإلى الزهرة البيضاء التي تعلو وتتوجه بلونها الناصع.

وكان سوقها بيرة طازجة، وهي تنظر إلى الزهرة التي تشبه زهرة الخشخاش لولا بياضها وأشار «ستيف» قائلاً:

هذه هي والقطني في هذه الزهرة.

هل أن تجدوه؟

وحدقت فيه بدون أن تستطيع ما تسمعه

إنها زهرة شائكة بعطر الشتاء حقيقة.

ولم تصحبها صراحة وبعيه أن تزن حسنه وحدة كلماته، وهو يعطر الدمها بحيات وحنان، ومع ذلك لم تتراجع عن موقفها المتحدي وسمعته يقول بانفعال شديد:

هاما أنت تعلمين أن أتحمل أشواكك لمدة عشرة أيام. أيتها الزهرة الشائكة المسماة «بكاثي» التي لم أطلب هذه الوظيفة، كما لم أكن الملعقة الذي وضع لأيدي لكني هنا وسأبقى هنا.

وظل ممسكاً بمعصمها وقد غرس أصابعه في عظامها إلا أن الألم الجسماني لم يكن هو الذي بعث فيها رجفة الخوف، بل الطريقة الآمرة التي كان يتكلم بها «ستيف» يهدد ينذر بالعاصفة.

فردت قائلة وصوتها يرتعد

وإنني أحصي الأيام حتى رحيله

موافقاً على الكثير عن الزراعة وتربية المواشي، لكن من الواضح أنه لم يتعلم أصول المعاملة المهذبة.

ثم ترك يدها بحركة تقزز واحتقار بعيداً عنها

لا تتكلم هكذا عن والدي.

وهذه المرة كانت يد «كاثي» هي التي امتدت لتوقفه في مكانه، وأخذت الدموع التي كانت تحبسها تتجمع وتحجب عنها الرؤية، وقالت له:

والدي خير والد في الدنيا وإني مستعدة للقيام بأي شيء من أجله، وهو أيضاً

مستعد الآن لفعل أي شيء لها.

ونظر إليها فليت بمرح وقال:

- إنك مخطئة يا كابي، فأنت أنانية ولا يمكنك أبداً أن تكوني خادمة لأحد.

فأنكرت قوله بقوة وانفجرت باكية وهي تقول:

- هذا كذب وافتراء.

- أتظنين ذلك؟ أنت لا تستطيعين حتى أن تكوني مؤدبة معي أو ودودة، ولو ترك الأمر لوالدك لرمى بأوراقه المزورة. لكن يعلم كلانا أن هذا ليس صحيحاً. إنك لا تستحقين شكراً، لكنك الخاسرة يا كابي، وما من أحد يجب أن يكون خاسراً.

ولم تستطع مواجهة نظراته، واستقرت عيناها على حذائه المخدوش وحاولت بشجاعة أن تواجه الواقف مؤكدة بأن ما يقوله لا يمت إلى الصواب بصلة، وشعرت كأنها حشرة صغيرة لا فائدة منها ولم يعد هناك مجال للمغالطة إنها فعلاً فتاة مدللة أنانية لا تستحق الأشياء التي تنعم بها، وأفاقت من أفكارها تحرى فليت لوى شفتيه جراه ممسكاً بالطعام ينحه نحو المزرعة، فنادت عليه قائلة:

- فليت!

كان صوتها ضعيفاً إلا أنه سمعه، فأوقف حصانه ونظر إليها، إلا أن كابي مشت نحو فليت ببطء ولم تهتم بتجفيف دموعها من وجنتيها وهي ترفع وجهها لتنظر إليه في انكسار:

- إنني آسفة لطريقة تصرفي معك.

وقبل أن تتم عبارتها خفضت رأسها لتنظر إلى الأرض، وانتظرت أن يرفض فليت اعتذارها وأن يلقي به في وجهها قائلاً لها إن فرصة إصلاح ما فسد قد ولت... وبدلاً من أن يفعل ذلك، امتدت يده إليها مرحبة بصداقتها، وقال فليت:

- قد لا نكون أصدقاء، لكن يجب ألا نكون أعداء.

قالها وهو يمسك باليد التي وضعتها برفق في يده، فأومأت برأسها وسحبت يدها في خجل الناس ورفع ذقنها بأصبعه حتى اضطرت كابي للنظر في وجهه، كان يبتسم تلك الابتسامة الساحرة التي يحتفظ بها دائماً، وحبست أنفاسها من قوة سحر جاذبيته.

ولم يكن ما فعله بالأمر الهين لقد اعترف بخطئه في ماضيه، وأنه رجل عنيد وإلا ما اشتغل بالزراعة وتربية المواشي، إلا أنه عادل وأمين، ولم أتصور أن أختلف معه في أخلاقه، ربما أكثر منه عناداً.

وتعجبت كابي كيف لم تلحظ من قبل بريق عينيه، أو الخطوط الراسمة على وجهه، واصطبغت وجنتاها بحمرة الخجل عندما لاحظت أنها تحملق فيه وأنها معجبة به، فتراجعت وهي تريد بدون أن تدري ما تقوله، وشعرت بخجل غريب.

وجاء إليها صوت صهيل جواد من فوق التل سرعان ما يتبعه جواد فليت، ومسحت كابي الدموع من وجنتيها وحولت نظرها نحو مصدر الصهيل وابتسمت ابتسامة عريضة وهي ترى الحصان الأبيض وهو يهز رأسه على بعد مائة ياردة منهما، وقال فليت:

- إنني لم أر هذا الحصان في المزرعة من قبل.

فردت كابي وهي تضع أصبعها في فمها وتصفر للحصان:

- هذا هو جوادي «موكوري».

ودارت عيناها بالفخر وهي ترقب الحصان يقترب منها بخطوات واسعة متهادية رافعاً أنفه ليشم رائحة الرجل الغريب، أما ذيله فرفعه في خيلاء، وكان جلده الأبيض يلمع في صحة واضحة، ولم تظهر عليه سنه الكبيرة، ووقف أمام كابي فربتت برفق على عنقه، بينما وضع أنفه في جيوب ردائها فضحكت وأخرجت قطع السكر وأطعمتها له.

- إنه يقترب من سن السابعة عشرة ولا تبدو عليه سنه.

ونظرت كابي إلى فليت لتعرف رأيه وانتظرت قائلة

«كان أول حصان في، أول حصان لا يحتاج للسوط حتى يجري في العدو بسرعة. كان سريعاً كالريح لذا أسميته «ميركوري» كاسم البطل الروماني ذي الأجنحة في قدميه»

ونظرت «كايتي» إلى «فليت» مترددة خشية أن يعتبرها تافهة أو يتهم لكلامها لكنه كان يرقبها باهتمام كبير، واستطردت تقول:

«لقد كنت كالعصفور الطليق»

فضحك وقال:

«وكنت...»

لكنها كانت ضحكة رزينة أمكنها أن تشاركه فيها

«كنت أشعر أن «ميركوري» هو حصاني، لكنت أركبه بدون سرج أو لجام و كنت أوجهه بركبتيّ وأمضي في ذلك معظم الوقت.»

«إن شكله رائع بالنسبة لسنه»

«وإن أسنانه تتآكل»

وظهرت في صوتها نبرة حزن وهي تقول:

«قال أبي هذا الربيع إن «ميركوري» سيفقد كل أسنانه بانتهاء الصيف القادم تتآكل كلها حتى تصل اللثة»

ثم قالت بحماس رغم تكشيرة بدت في جبينها:

«إنه يحب الجري بحرية، لكني متألمة لليوم الذي سيضطر فيه «ميركوري» إلى تناول الأكل بدلاً من حشائش المرعى الطازجة»

وعاد الحصان يقترب من جيوبها بحثاً عن مزيد من السكر، وعندما تأكد من عدم وجود السكر ابتعد وجرى نحو التلال من حيث أتى.

وقال «فليت»:

«يجب أن يحدث ذلك يوماً ما»

وشعرت «كايتي» بأنه يشاركها شعورها وقلقها.

«نعم، أعلم ذلك، إلا أنه حالي حياة مريضة»

وانتبهت وهي تقول عبارتها الأخيرة، فقد علمتها الظروف في المزرعة أن ترى الحياة لا نهاية لها، وأن أحداً لا يستطيع إيقافها أو التعرض لها، كما تعلمت أن تتقبل الأشياء التي ليس في وسعها تغييرها، رغم أن ذلك لم يجعلها تتقبل الأمور بسهولة.

كانت تجربة جديدة بالنسبة لها أن تتكلم بهذه الحرية وبهذه السهولة، مرة سببت لكايتي الاضطراب لكنها وجدتها ممتعة، فقد أشعرها «فليت» بأهميتها في هذه اللحظات القليلة، وربما كان هذا هو السبب لشعورها بالوحدة عندما تركها وانصرف.

سمعت «كايتي» مربع المزرعة كل مرتين معاً أنها أخيراً وبعد مقاومة طويلة قبلت «فليت» كوكيل لها في المزرعة، وربما ساعد على ذلك توالي العلاقات مع علاقاتها في العمل لصالح المزرعة، واكتشفت «كايتي» منتعشة جسدياً في العمل جنباً إلى جنب معه، وهو شعور بالرضى لم تعرفه من قبل. كما لاحظت أن إعجابها بـ«فليت» يتزايد، ولكنها ظلت تحاول أن تخفيه. لكنه أخذ في الظهور شيئاً فشيئاً، وعندما فتحت باب المطبخ سمعت أصواتاً «مارك» يقول بحدة:

«كلا.. كلا.. هذا مستحيل»

وكان واقفاً أمام المائدة وفي يده ورقة أخذ يقرأها ويهز رأسه بشدة، ونظر بوجهه المضطرب إلى «كايتي» وهو يقول عند سماعه وقع أقدامها

«كيف تفعل أمي بي ذلك؟»

«ما الذي بالورقة؟»

ووضعت «كايتي» يدها الورقة، ومن طرف عينيها رأت «فليت» يدخل إلى الغرفة وقال شارحاً الموقف بينما أخذت «كايتي» تقرأ الرسالة:

«قطعت السيدة جراسيك ظهر اليوم وعرضت علي بالتلفون أن تصحبها إلى

«سكوتسبلاف» لزيارة والدة بالمستشفى، وتركت هذه الرسالة لتشرح فيها سبب عدم وجودها بالمنزل لتناول العشاء الليلة.

وألقى «مارك» نفسه في كرسي المطبخ قائلاً:

«لا يمكنني أن آكل الطعام الذي تعده أختي، لقد قضيت أسبوعاً كاملاً أثناء غياب أمي في المستشفى مع أبي، وأعتبرها معجزة أنني لم أمت من التسمم»

فصاحت فيه «كايتي» قائلة:

«مارك..»

ولم يمكنها التغلب على حمرة الخجل التي علت وجهها وهي تنظر إلى تعبيرات الرضى التي تجلت على وجه «فليت» وهو يستمع إلى ما يقوله «مارك».

«وأؤكد لك يا «فليت» أنك لم تصادف في حياتك طاهية أسوأ من «كايتي»»

وتمنت «كايتي» لو أمكنها أن تسد فم أخيها لتوقف سيل كلماته المتدفقة المحرجة لها.

«وحدث مرة أنها حاولت أن تعد لنا بيتزا فوضعت فيه كثيراً من الملح بحيث اضطررنا لشربه..»

وعندما لاحظ «فليت» الحرج والغضب المرتسمين على وجه «كايتي» ضحك وقال:

«يحسن أن تكف عن المشروع يا «مارك» قبل أن تضطر للدفاع عن نفسك. لقد قررت أنه بدلاً من تعريض أختك للوقوف أمام الموقد الساخن بعد عملها الشاق طوال النهار، أن نذهب إلى «فورت روبنسون» لتناول العشاء في الخارج الليلة.»

فرح «مارك» وقال:

«شكراً جزيلاً»

وسألها «فليت» قائلاً:

«هل هذا الاقتراح يناسبك يا «كايتي»؟»

ولأول مرة في حياتها تمنت «كايتي» لو أنها أتقنت الطهي مثل أمها لكنها

أومأت برأسها موافقة، وتمتمت أنها تريد أن تغير ملابسها، وهربت من الغرفة قبل أن تفضحها حمرة الخجل. وتمنت «كايتي» لو أنها اهتمت أكثر باختيار ملابسها فقط كان منظر بنطلونها الأبيض وبلوزتها ذات المربعات الحمراء والياقة ذات الكرانيش جميلاً، لكن شكلها بصفة عامة كان يشبه فتاة ريفية ساذجة. وتنهدت شاعرة بالندم لأنها لم تظهر بمظهر يليق بها كما ظهر «فليت». ورأت أنها تركت معطفها الطويل ولبست عوضاً عنه معطفها الأبيض الرخيص.

وبينما كان «مارك» يتقدمهما إلى المبنى الذي كان في وقت من الأوقات ثكنات للجنود ثم تحول إلى نزل ومطعم للسياح، أخذ يقص على «فليت» تاريخ الحصن القديم.

«وكان هذا المبنى الأبيض الكبير مقراً للقيادة، لكنهم يستخدمونه الآن كمتحف. وكان هذا الحصن مشهوراً ليس فقط أثناء استقرار المستوطنين في الغرب، بل في أثناء الحرب العالمية أيضاً»

عرفت «كايتي» أن «مارك» أصبح مهووساً بتاريخ «فورت روبنسون» ولم يأبه إذا كان «فليت» مهتماً به أم لا. فقد أصر على أن يعرفه بتاريخ الحصن كما استمر «مارك» يقول:

«على الجانب الآخر من الطريق، أي عند دخولنا «فورت روبنسون» يوجد المكان الذي قتل فيه الزعيم «كريزي هورس» وهو يقاوم الجنود الذين حاولوا وضعه في السجن. كما أنه المكان الذي لجأ إليه الهنود عندما هربوا من مستوطناتهم، وعندما رفضوا العودة وطاردوهم بنحو بعضهم لإرغامهم على الرجوع لثكناتهم، هربوا أعدادهم وهربوا من الحصن. وهي معلومات معروفة لمعظم الناس»

وضحك «فليت» متجهاً نحو «كايتي» وهو يفتح الباب الكبير الزجاجي المطلي.

«كيف توقف سيل كلماته؟»

«لا تستطيع، إلا إذا نفذ وقوده»

وألقت إلى أخيها نظرة كلها اهتمام ومداعبة.

وبعد حلول كلامهم الطعام وطربهم، التفتت إلى «مارك» حسبان أشقراك

وقال أخيها وهو يضرب «مارك» على ظهره مداعباً.

«كنا نتكلم عنك»

وضحك «مارك» وهو يحاول أن يتفادى ضربة أخرى من القميص الأحمر

وقال:

«ماذا تفعلان هنا؟»

«أقنعنا والدنا أن يصحبنا إلى السينما بعد أن تمكنت أختنا الذهاب إلى سكرتيرة..».

وهزت «كابي» جاهدة أن تخفي من من تراءى «براسيك» هو المتحدث.

وقال «مارك» وعيناه تضحكان:

«لقد أخذت والدتي معها وتركتني تحت رحمة طهي أختي، حتى أقلقتني تلبيته»

«بعد أن تنتهي من الطعام... أم الأفضل أن تأتي لتأكل معنا..»

وجذب أصغر التوأمين ذراع «مارك» ليأخذه معه إلى مقعدهم مؤكداً دعوته له، وأضاف قائلاً:

«يجلس أبي هناك، وقد طلبنا ما تريد من طعام، وتستطيع أن تذهب للسينما معنا بعد العشاء»

نظر «مارك» إلى «كابي» مستأذناً في الذهاب مع صديقيه، واللهفة تلمع في عينيه، فأومأت له قائلة:

«لا مانع طالما يوافق السيد «براسيك» على ترحيبك المنزل»

فقطع أصغر التوأمين قائلاً له:

«إنه لن يمانع»

وساد الصمت خلال الجزء الأول من العشاء بعد انصراف الصبية، وبدا لم

من نفسها من أخيها قالت «كابي» لو كان سهلاً لهذا هذا السكون الذي أثار قلقها

وأخيراً قال «فنسنت» وهو يراقب الأحمر التفاحي في وجنتيها

«أنت صاحبة الثلة حسناً مطلقاً، أرجو ألا تكوني قد فقدت فرصاً بوداعية «مارك» فأنت تعلمين أن كل الأطفال يرحون هكذا فهم يحبون مشاكسة الأكبر منهم سناً، ولكن لم أشعر به فهو يداعبني هكذا طوال الوقت»

وكان هذا التردد في إنكار حقيقة شعورها هو السبب في صعوبة مواجهة نظراته.

«فعلاً... الواقع أنني لا أعرف الطهي ولا حتى كيف أقلي البيض»

«وهل يعرف «سيمبتي» كيف يطبخ؟»

«سيمبتي! كيف لي أن أعرف ذلك؟»

وواجهت نظراتها الشخصية نظراته بصراحة.

«ربما علاقة الله بي؟»

«فهمت كما سمعته أن المتفق عليه هو أنكما ستتزوجان ومن الأولى أن يعرف أحدكما كيف يطبخ»

وارتفع جانب من فمه في سخرية واضحة، وعلقت «كابي» على كلامه بتهكم:

«إذا كنت تعني الزواج، الأمر الذي لن يحدث، فليس من شأنك إذا كان أحدنا يجيد الطهي أم لا»

ولم تقل «كابي» شيئاً بخصوص عدم إتقانها لفن الطهي وربما أثار رغبته في مضايقتها تهكمها الذي بدا في كلماتها

«ربما رأيك في أسرة مختلفة على الطهي»

في السطانيين جمعاً إعداد وجبات لذيذة تأكلها أمام شاشة التليفزيون.

وابتسمت هي بابتسامة عريضة برغم أن بعضاً من تعبيرات وجهه قلقت جادة.

وشعرت أنه لا شك كان يسخر من غضبها لما زاد من ثورة «كابي» عليه.

ـ لا بد أن شخصاً يدفع رجولة مثلك يجتذب إليه الفتيات ذوات الأرواح الضارية.

كانت الابتسامة التي تشع من وجهها تتعارض مع الغضب المنبعث من عينيها الداكنتين.

ـ أفضل الفتيات ذوات الشعر الطويل والسيقان البيضاء. كما يصلح منكباك العريضان لاستناد رءوس عليهما.

ـ أرى أنك تتحولين ثانية إلى زهرة مليئة بالشوك.

ـ ربما كان هذا صحيحاً. فهي تخصك.

وهدأت ثورتها تحت تأثير دفء ابتسامته التي لا تقاوم.

ـ يدهشني أن أراك غاضبة إذ يتحول وجهك إلى خليط من عيون صافية ووجنات متوهجة، وهو خليط جذاب جداً.

وكانت هذه أول عبارة مجاملة تتلقاها «كابي» من «فلينت». وكان لها وقع مثير على نفسها فخفضت نظرها إلى صحنها، وتمنت لو كانت من الفتيات المجربات اللواتي يعرفن كيف يقابلن مثل هذه المجاملة العابرة بعبارة مرحة. قال «فلينت» مقترحاً:

ـ هيا نمشي حول الحصن قبل العودة إلى المزرعة.

وقام من أمام المائدة واستدار حولها ليسحب مقعد «كابي» من تحتها. وكانت تشعر بالسعادة الجديدة له بحيث لم تقدر إلا على إمالة رأسها بالموافقة على اقتراحه. وانتظرت حتى دفع الحساب، ولم تفتها نظرة الإعجاب التي ألقتها عليه الفتاة الجالسة أمام الطاولة. وأخذت تسائل نفسها ترى كيف يكون الحال، إذا كانت هذه الفتاة صديقة «فلينت»، وهي معه الآن في موعد غرامي؟ وبسرعة حاولت أن تبعد الفكرة عن خاطرها وهي تقنع نفسها بأن رجلاً مثل «فلينت» لا يمكن أن يهتم بفتاة من الريف مثلها إلا أنها كانت فكرة مثيرة لم تستطع أن

تتخلص منها تماماً.

ـ هل نسير في الطريق الذي كان يستخدم للاستعراض؟

ألقى «فلينت» هذا السؤال وهو يقف في قمة القلعة الواسعة ويعبر بمرافقتها نزولاً الدرج ومشياً نحو الساحة البيضاوية التي تتوسط المباني.

وكانت الشمس دافئة والنسيم العليل يحمل رائحة التبن حديث الجني. وكانت هناك حركة قليلة حول الساحة البيضاوية. كما كانت أصوات السيارات والسياح تسمع من بعيد. وفي الركن القريب منهما رأيا السارية والعلم الأمريكي وهو يرفرف في الهواء.

وبينما هما يمشيان رويداً رويداً أمام المبنى الذي يضم نقطة الحرس، قالت «كابي»:

ـ من السهل تصور هذا الجانب من الحصن عندما كانت تملأه ثكنات الفرسان. وأحياناً أغمض عيني وأسمع في ذهني النداءات العسكرية.

ـ وكان مبارك حقاً في رأيه من مكانة «فورت روبنسون» التاريخية. فقد كان حصناً هاماً لأكثر من مائة عام.

وتلاقت نظراتهما عندما اقتربا من مدخل تلك الثكنة. وتنهدت «كابي» قليلاً وقالت:

ـ أرجو ألا يكتشف كثير من الناس هذا المكان. وأنا لا أعترض على مجيء السياح لزيارته وركوب الخيل في نفس المكان الذي كان يركب فيه الأبطال الأولون، لكن كل ما يهمني ألا يصبح مكاناً تجارياً. فروح الحصن الأصلية مازالت باقية ولا أريد لها أن تتغير.

ـ مثلاً الأمريكيون يعرفون أن هناك أشياء لا يمكن استغلالها لقيمتها المادية، بل يجب أن تبقى بلا تغيير حتى تستطيع الأجيال القادمة أن تتذوق روحها الجمالية.

هكذا عقب «فلينت» على ملاحظة «كابي» ورأيها في الأماكن الأثرية.

ونظر إليها والابتسامة تعلو فمه وقال:

«هذه هي كل الهدية التي أنوي منحها الآن. فالقبلة جميلة، والموقع يوحي بالرهبة والصحبة ممتعة. لذا أرفض أن أفسد كل هذا بالحديث عن أشياء أخرى من صنع البشر».

واستقرت يده على خصرها بطريقة طبيعية وتلقائية، غير عابئ بالثورة التي أحدثتها فيه في داخلها، فالتفتت إليه وقلبت مشاعرها رأساً على عقب. وبرغم أن فليت غير الموضوع، إلا أن كاسي لم تستطع التركيز على أي شيء، وكان كل تفكيرها وشعورها مركزاً عليه كرجل.

٨ ـ الجار في سلة المهملات

عرفت كاسي الكثير عن فليت في تلك الليلة أثناء تجوالهما حول فورت روبنسون، وأثناء رحلة العودة، تحدث فليت عن والديه وأجداده وإخوته الثلاثة وأخته الصغرى، وشعرت كاسي أن تجاربهما وجدا شيئاً مشتركاً إلا أن وصولهما إلى أنكور بار قد أوقف تجاربهما وكان سيسيل في انتظار كاسي وقد بدا عليه الغضب ولم يحاول إخفاء اعتراضه على مصاحبتها فليت للعشاء بالرغم من أن الدعوة وجهت في البداية لثلاثتهم إذ كان مدعواً معهما. ولأول مرة تبرمت كاسي من موقف سيسيل الذي يدل على أنانيته ورغبته في الاستئثار بها.

وما زاد الطين بلة أن فليت سلم بأحقية سيسيل في صحبة كاسي، وانسحب بهدوء إلى مكتبه. فالأمسية التي كانت ممتعة انتهت نهاية سيئة. فصداقة كاسي لسيسيل كانت علاقة رائعة. إلا أن كاسي لم تكن تعرف شعور فليت الحقيقي نحو تلك العلاقة أو اهتمامه بها.

وحاولت أن ترغم نفسها على الاعتقاد بأنها مجرد تسلية بالنسبة لفليت. أما شعورها نحو فليت فكان من أصعب الأمور التي واجهتها في الأيام الثلاثة التي انقضت منذ تلك الليلة.

وكان هذا هو السبب الذي دعا كاسي إلى اقتطاف عطلة قصيرة جوالتها وحملها بعيداً إلى بركنريدج، لأنها كانت بحاجة إلى فترة تتفهم فيها مشاعرها وتضع الأحداث الأخيرة في أوضاعها الطبيعية. أما الهدف الثاني من رحلتها فكان لتفقد

العجول الجديدة التي ولدت في نفس السنة وصعدت كايلي إلى قمة التل وأوقفت حصانها ثالي على بعد أقدام من حافة المنحدر لتمتع عينيها بمنظر التلال الترابية الجميلة. وإذا نظرها ثور بني اللون يقوم في أسفل المنحدر ويبدو أنه يعاني من الألم، ووصل إليها النسيم صوت أنّة استغاثة خافتة.

ولم تكن كايلي بحاجة لأن تنبهها أذنا حصانها المتوترتان إلى أن الصوت كان آتياً من الشيء البني الذي رأته. وأدارت حصانها نحو المنحدر وتركته يختار طريقه إلى العجل الجريح القابع في السفح وكانت عينا كايلي تجوبان التلال بحثاً عن البقرة الأم. مدركة أنه لا يوجد أخطر من بقرة تحمي عجلها، والغريب أنه لم يكن هناك حيوان آخر في المنطقة كلها ولم تجد كايلي غير تفسير واحد، أن العجل هو وليد بقرة عمرها سنة واحدة بحيث لم تكتمل فيها بعد غريزة الأمومة.

وأوقفت كايلي حصانها على بعد مائة قدم من العجل ورأت حلقة من الأسلاك الشائكة قد التفت حول أقدامه بحيث سال الدم على الجلد الأبيض منها وشعرت كايلي أن عليها التصرف قبل فوات الأوان. فالرجل الشائك بعد أقدام العجل، وعدم قدرته على المقاومة، دلا على أن الحيوان الصغير نزف كثيراً وكان كل همها أن تخلصه من الأسلاك الشائكة وتحمله إلى مبنى المزرعة فوق سرج حصانها.

نزلت كايلي عن ظهر حصانها، واقتربت منه وفي يدها مقص الأسلاك الذي تحتفظ به دائماً في جراب سرج حصانها. ونظر العجل إلى كايلي بعينين كبيرتين بالألم الأم، وهي تقص الأسلاك الشائكة وتخلص أقدامه منها بعناية تفادي الشوك. وتمنت لو أنها أحضرت معها القفاز الجلدي السميك الذي تركته على رف المطبخ. وأخيراً خلصت العجل من قيده، لكنه كان خائر القوى بحيث لم يستطع النهوض بمفرده.

حملت كايلي على العجل الثقيل بين ذراعيها، وبعد جهد كبير أمكنها

النهوض على قدميها. لكن العجل صدرت منه صرخة خوف واحدة وتطلعت كايلي نحو حصانها الذي تركته على بعد خمسين قدماً، وفجأة رأت رأس الحصان يلتفت نحو التل الواقع على يسار كايلي. وفي الوقت الذي حولت فيه نظرها إلى تلك الجهة، سمعت خواراً غاضباً من جهة التل.

وانتاب كايلي الخوف وقفز قلبها إلى حنجرتها وهي ترى البقرة الأم تعدو من فوق التل بكل سرعتها، في المزرعة بقرة واحدة لها قرون غريبة ملتوية مثل قرون هذه البقرة الشجاعة نحوها في هجوم ينذر بالخطر. إنها من نوع ينتسب إلى صنف بقر ولاية تكساس ذي القرون الكبيرة، وكان والدها يستخدم ذلك الصنف منذ سنوات عندما كان يقوم ببعض أبحاث تهجين الأجناس. وكان مارك قد أطلق عليها اسم المرأة المجنونة لشراسة طبعها وبلحظة سريعة عرفت كايلي أن المسافة بينها وبين البقرة لا تدع لها فرصة الوصول للحصان وهي تحمل العجل في حضنها.

ومع ذلك أسرعت كايلي نحو الحصان والعجل مازال بين ذراعيها لكن صوت حوافر البقرة وهي تدوس على الأعشاب اختلط مع أصوات ارتطام جلد سرج وحوافر جواد يقترب منها التفتت بطرف عينيها، وقلبها كأنه يقفز من حلقها من شدة الخوف، رأت جواد فلينت الشقط وهو يسرع نازلاً من التل في اتجاه البقرة. وامتد حبل من يد فلينت في آخره عقدة كبيرة استقرت بمهارة فوق القرنين المتعرجين، وبجرة واحدة من يده دفعها بعيداً عن طريقها وهي تتجه مسرعة نحو كايلي. وصرخ فلينت يقول:

«السيارة والمقطورة بجانب الباب الغربي».

وكان حصانه يحاول جاهداً أن يسيطر على البقرة التي أخذت تخور وتقاوم.

ولم تضيع كايلي وقتاً في وضع العجل على سرج حصانها الذي امتطته وأسرعت به بعيداً. وعندما وصلت إلى السيارة أعدت للعجل مكاناً في مؤخرتها وأرقدته برفق فيه ووضعت حصانها في المقطورة. وبعد انتهائها، وصل فلينت

إليها وهو يحضر بحصانه من فوق التل.

وحالت عيناه لتخطر بذات لوالها بسرعة، ولم تساعد نظراته العاصفة في تهدئة الرجفة التي أصابت ركبتيها بالضعف والزلزال. وأدخل فليت حصانه إلى القطورا وأغلق بابها ثم عاد إلى كايتي، ورنت النظرة الشرسة المرتسمة على وجهه كأنها منتزعة على صخر بخطوطها الصلبة الحادة.

قالت كايتي لتنقذ نفسها من ولع العاصفة التي يهددها بها فليت:

«سأركب في الخلف مع العجل».

وركب فليت في مقدمة السيارة وأغلق بابها بعنف شديد، وقفزت السيارة عندما أدارها واستدارت فوق الطريق الوعر في طريقها إلى المنزل.

وقالت كايتي برقة وهي تهدئ العجل:

«سيصبح كل شيء على ما يرام».

فتنهدت وهي تضع رأس العجل بحيث أصبح يحمله فوق حجرها، وفي الواقع كانت [illegible] من ولع نفسها أكثر من تهدئتها للعجل.

[illegible] السيارة مع كايتي، وأخذ يفحص الجرح الموجود في أقدام العجل وبعدها حمله خارج السيارة فتبعت كايتي وراءه لتبتعد، فقد كانت تفضل أن تكون في أي مكان غير هذا المكان، حتى لا تضطر إلى مواجهة تلك العينين الرماديتين الصارمتين.

«كايتي أريد التحدث إليك».

وبالرغم من هدوء صوت فليت إلا أنه لم يكن هناك مناص من تلبية طلبه فقالت كايتي وهي تشير نحو سام الذي يبتعد بسرعة بحمله الجريح:

«لكن.. العجل..»

«سيعتني سام بأمره».

وقررت كايتي أن أفضل دفاع هو الهجوم، لذا جمعت أنفاسها وقالت:

«استمعي إليّ يا فليت ماكاليستر، لقد احترمت لغزي الحرية الشخصية، وليس لديّ أي استعداد إطلاقاً للاستماع إلى نصائحك ومحاضراتك. لكل ما أردته هو العناية بذلك العجل، فليس لديّ أي استعداد لأن أفقد شيئاً من مواشيه».

فابتسم فليت [illegible] وسحب ذراعها ليعيدها إلى مكانها وهي تدير له ظهرها لتنصرف.

«استمعي إليّ يا كايتي فيلمورا ألم تتعلمي شيئاً من علامات [illegible] فلو لم يرك سام وأنت تتجهين بحصانك إلى حيث كنت، لما عرف مكانك. ما الذي دفعك لمحاولة أخذ العجل الجريح من أمه بمفردك؟»

فتأوهت كايتي وتحركت الدموع من مرفقها وقالت:

«أولاً، كان العجل مريضاً مرضاً شديداً وثانياً، لم تكن البقرة موجودة عندما وصلت إلى العجل، وظننت أنها بقرة عمرها سنة واحدة ولا تفهم معنى الأمومة».

ثم سحبت ذراعها منه وأتمت كلامها قائلة:

«[illegible]، لا حق لك في تأنيبي».

[illegible]

«أليست هذه [illegible] بسيدة مهذبة [illegible]».

«لست مهذبة بل رقة [illegible] ألا تذكر ذلك؟»

ومالت رأسها لتنظر بتحد إلى عينيه الرماديتين تحت حاجبيها المرفوعين في تهكم. لكنه لم تقل:

«أترى خطأ وراء هذه الأشياء؟»

وفي حركة سريعة أطبقت يده على معصميها وجذبها نحوه بيدا استقر الأمر على ضعفها وفي محاولة خائبة للمقاومة رفعت يديها إلى صدره لتبعده عنها غير أن وقد اللمسة السحرية سرى في جسدها وسلبها إرادتها وأي تفكير في المقاومة، واجتاحتها رغبة لا تقاوم في الاستجابة له فشعرت كايتي بأصابعها وهي تضغط على القميص وعلى صدره ذي العضلات القوية المفتولة، وانتشر في

جسمها ضعف نابض وشعرت أنها تغوص في دوامة من السعادة، وودت لو استمتعت بطعم كل لحظة منها وقد حال جانباً منها شدة الاستجابة التي أثارتها مركبة فيها، وعندما رفع يديه عنها، تركت "كاتي" في ضياع كبير، وحاولت أن تبلع ريقها وتقاوم العاطفة العنيفة، لقد أسرعت فيها تصرفاته ذرا العكس طيفها في عينيها وقال "فليت" بصوت أجش نزل على "كاتي" كالماء البارد:

«أقسم أنك لم تعاملي "سيمي" هكذا قبل الآن».

«لماذا تقول ذلك؟»

«لأنك لو فعلت، لكان معنى ذلك أنك متزوجة أو لك علاقة برجل، وأعرف أن الافتراض الأول غير صحيح، وواضح في حياتك الآن بشكل أن الافتراض الثاني غير صحيح أيضاً».

فنظرت "كاتي" إلى عينيه الواثقتين، وشعرت بالخجل لمعرفته الكاملة بها ولامت نفسها لأنها استجابت بضعف واستسلام، وبكى عقلها الناطق، لكن عينيها أخذتا تتفحصان جانبية وجهه وهي تقول له:

«من حقك أن "سيمي" لم يكن هنا ليرى ما فعلته».

«لا شيء سنناقشه يا "كاتي"».

تركت تعبير وجهها، واختلطت عليها مشاعرها المضطربة، فلم تعرف هل تهرب من مراقبته أم تصفعه على وجهه، فتملكتها الحيرة لا تدري ماذا تفعل، ثم استدارت وهربت تلاحقها ضحكة كأنها تشعر بالنصر.

أنبت "كاتي" نفسها لأنها أي عيب ألا تدع نفسها تنجذب "لفليت ماكاليستر" أو تقع في حبه، وهذا هو ما سيحدث إذا لم تأخذ حذرها، وهي نصيحة في أعلها، لكنها ألقتها حتى وهي تحدق فيه وهو جالس أمامها في غرفة الطعام التي تستضيفها الأسرة كلها واستدارت العينان الرماديتان نحوها وقال "فليت":

«وما رأيك في هذه الفكرة يا "كاتي"؟»

فأجابت قائلة:

«آسفة، لم أسمع ما كنت تقوله».

وانفجرت شفتاه عن ابتسامة ساخرة، ولاحظت "سيمي" عند رؤيته احمرار وجهها من الخجل المصحوب بالمرح.

«كانت والدتك تتكلم عن الحفل الذي ستقيمه آل "غوردون" مساء الجمعة، وقالت أنها لن تذهب لأن "جون" غائب، لكني أجد أن تذهب، بل وأن نذهب جميعاً كأسرة».

فنظرت "لويسل" إليهما بينما كانت تطوي مجموعة من الجوارب في حجرها وقالت:

«حسن، لا أمانع، ويمكنكم ثلاثتكم الذهاب بدوني، إلا لا أرى أن من الصواب ذهابي و"جون" غائب عن المنزل».

فقالت "كاتي" وهي تحاول أن تتفادى وجه "فليت" الجذاب:

«تعلمين أنك ستستمتعين بالحفل يا أماه، كما أنك تعلمين أن أبي يكره هذه الحفلات ولا يشترك في الرقص فيها، ومع ذلك لم يمنعك من الذهاب إليها».

وأضاف "فليت" قائلاً:

«الذين ستقابلينهم هناك هم أصدقاؤك وجيرانك، ولن يسيء أحد الظن لو تعلمين أنك ستكونين في صحبة أبنائك، حتى و"جون" في المستشفى».

فوافقت والدة "كاتي" على كلامه قائلة:

«كلا. لن يفكروا في شيء، ولكن...»

فأصر على رأيه قائلاً:

«لا تقولي ولكن. إننا سنذهب جميعاً، ولن أقبل منك أي اعتراض، أليس كذلك يا "كاتي"؟»

ولم تستطع أن تراقب رعشة الفرح عند اتفاق رأيهما، كما لم تستطع السيطرة على بريق عينيها وهي توافقه على رأيه، وسألتها أمها:

«هل كنت تأبين ترتيبات العائلة للتعامل مع "سيمي" يا "كاتي"؟ الأفضل إذا كنت

لقد فعلت.»

وشعرت الأم بوخز ضميرها، وبرح مرافقها بينما حاولت «كاثي» أن تتذكر إذا كان «سبيتي» قد طلب منها الذهاب معه أم لا. لما قالت:

«إني متأكدة أنه لم يفعل»

كانت هذه العبارة لرغبتها في اقناع نفسها أكثر من رغبتها في إقناع والدتها

وقالت والدتها بحركة لا مبالية من كتفيها وهي تضيف:

«لقد أصبح واثقاً من نفسه في الفترة الأخيرة»

وابتسمت لها «ليسيل البلمور» وهي فرحة بتصرفات ابنتها التي أخذت طابع الأنوثة وقالت:

«لا بأس، سأذهب معكم»

وقال «مارك» فرحاً:

«لقد كنا لا نرى شيئاً حسناً، فها هو «سبيتي» قد حضر»

ونظرت «كاثي» في مقعدها وهي تشعر بالعيون الساخرة وهي ترتقبها وقالت:

«سأذهب لأراه عند الباب»

ولم يكن هناك داع لتلك العبارة فقد اعتاد «سبيتي» الدخول إلى المنزل وكأنه منزله، ووجدها «سبيتي» على مدرج الشرفة فقال:

«أهلاً أيتها الجميلة»

ولمست «كاثي» وهي ترى تحويله أو زوال توتر أعصابها، وبدت ابتسامتها وكأنها تقول العكس.

«إنك ترتدين شاحبة اللون اليوم، فهل أنت بخير؟»

«أنا بخير»

غير أن ضحكتها التي أرادت أن تطمئن بها «سبيتي» كانت مترددة فاستقرت عيناه على وجهها ولم يعجبه بتاتاً ما كان يفكر فيه.

«جئت لأتأكد من رؤيتها مساء الجمعة»

كما لم يعجبه اللون الذي صبغ وجهها فأضاف قائلاً:

«ستذهبين معي، أليس كذلك؟»

فتراجعت «كاثي» وقالت:

«إلى حفل آل «جوردون»؟ كما تحدثت عنه»

وعلت الابتسامة في عينيه الكثير بحيرتها التساؤل

«نجحنا أنا و«فليب» في إقناع والدتي بالذهاب معنا، كانت ترفض الذهاب لوجود أبي في المستشفى»

وانبعث صفقة من الذهول والصدمة معاً وهو يقول:

«أنت و«فليب»! أتعني ستذهبين معه؟»

«سنذهب كأسرة: مارك ووالدتي وأنا و«فليب»»

لقد كانت تشعر بالذنب وتأنيب الضمير إزاء أنها لم تعد «سبيتي» بأنها ستذهب معه.

«هل أصبح «فليب» عضواً في الأسرة الآن؟»

ولم يحاول «سبيتي» أن يخفي التهكم الذي ظهر في صوته والذي وجهه إليها عقاباً لها على تقصيرها في حقه. ثم أضاف، والأ أحداً في دفعها إلى فهم مدى جرحه.

«ربما ترافقني أنا على أنا جرو عجوز قديم اكتفيت به في سن الكهولة»

وشعرت بحرج كبير بأنها فرطت بحقها في عمله، وحاولت محاولة تغيير الموقف إلى وضع أفضل:

«إننا نرحب بانضمامك معنا»

«كلا، أشكرك، فرؤية الجو ليست كرؤيته حاضرة»

فنظرت «كاثي» وقالت:

«لا حق لك في أن تكلمني بهذه اللهجة يا «دونالد سبيتي» فإنني لست ملكك»

«ولا داعي للتهكم لمجرد أنني لن أذهب إلى الحفل معك».

«لا أستطيع أن أتخلى عني في سبيل أسرتك يا «كابي». لكني أعترض على رفضك إياي بسبب «فليت». ماكالبس قد حذرني «بوبي» منه لكني لم أتوقع أن... لكن، ما الفائدة الآن؟».

ردت بصوت خافت مرتعد:

«إن رفضي ليس بسببه إطلاقاً».

«كلا؟ إن الحقيقة مرتسمة على وجهك».

وتقدم «سميتي» منها ويداه تتحركان نحوها ثم أنزلها إلى جنبه بحركة يائسة وقال:

«كم كنت صبوراً معك! إنه لا يهتم بك يا «كابي». لقد جاب جميع أنحاء العالم، فما الذي سيعجبه في فتاة ريفية مثلك؟».

وأرادت «كابي» أن تضع يديها فوق أذنيها حتى لا تسمع كلماته الجارحة. لكن ما قاله «سميتي» كان صحيحاً، وهي أفكار رددتها هي لنفسها مراراً من قبل. وأسوأ ما في الأمر أنها كشفت «لفليت» عن ضعفها أمام مغازلته وسحره. فهو الآن يعرف حقيقة مشاعرها نحوه واستعدادها للاستجابة له. وقد أثار خوفها اهتمامها ولوعتها في غرامه الذي لن تجني من ورائه إلا الحسرة والألم.

٩ ـ الأميرة النائمة

كانت «كابي» فرحة لأنها تجلس في المقعد الخلفي من السيارة، بينما أمها تجلس في المقعد الأمامي بجوار «فليت». وكانت حواسها المرهفة تشم أريج العطر الشرقي الذي يضعه في تقارب عجيب. فالقوة الجذابة التي تنبعث من «فليت» كانت تشدها طوال الأسبوع حتى عندما كانت تريد أن تبتعد عنه. وكان الجانب العاقل منها يريد الابتعاد بينما الجانب المتهور يخشى أن تشجعها على الاقتراب منه. وشعرت «كابي» كأنها طفل يلعب بالنار متهوراً بلهيبها ولم تكن خائفة من الحريق ذاته بل من التهام النار لها.

ولم تستطع «كابي» إيقاف موجة الفرح التي غمرتها عندما فكرت في حفل الليلة التي كان ينتظرها بما يحمله من مباهج ومفاجآت تتوق إليها. وكانت واثقة من أن «فليت» سيطلب منها مراقصتها. وتذكرت ملمس يديه حول خصرها وملمس جسده وهو يلامس جسمها. كما أيقنت أنها لن ترفض بل ستستمتع بكل لحظة من قربه وكل كلمة أو حركة تصدر منه.

وسمعت وهي تختال في جلستها حفيف الطيات العديدة للفستان التي ترتديها تحت ثوبها الأحمر اللامع. والتفت «فليت» إليها وتبادلت تحت تأثير نظرته الرمادية أثر النار بداخلها وهي تبتسم له بدلال وسعادة.

وقال وكأنه يفسر سبب التفاته إليها:

«لقد شارفنا على الوصول إلى مكان الحفل».

ورأت المصابيح اليابانية وهي متدلاة من الأعمدة القائمة في حديقة

«فورمون» الخلفية وقد وضعوا ألواحاً كبيرة من الخشب فوق الحشائش لتصبح حلبة واسعة للرقص، كما وضعت عربة من عربات التبن إلى جانب الحلبة لتكون منصة يجلس فوقها الموسيقيون. وكانت الموسيقى خليطاً من القيثار والكمنجات والأوكورديون والطبول. ألحانها المرحة تملأ نسيم الليل وتبعث البهجة في أرجاء المكان بينما جلست «كايتي» مع «مارك» وهما يتبعان «فلينت» وأمها في طريقهم من السيارة إلى مكان الحفل. وكان «جيم كينجستون» يقف أمام الميكروفون ويدق بقدمه على وقع الطبول، بينما هو يشير للراقصين إلى طريقة الرقص شأن القائد المتبع في الرقص التربيعي الأمريكي.

وفي خارج حلبة الرقص أخذ المتفرجون يصفقون بأيديهم على النغم بينما أخذت تنانير الراقصات متعددة الألوان تلف وتدور في مرتحين كبيرين. والراقصات يضحكن في مرح. بينما الراقصون يلوحون في الرقص الذي أتقنوه بحكم الخبرة الطويلة. ووجدت «كايتي» نفسها تدق بقدميها بلا وعي. واتجهت نظرتها إلى «فلينت» الذي استجاب إليها بابتسامته الساحرة.

«إنك تحبين الرقص؟»

وكانت حقيقة يعلمها أكثر منها سؤالاً.

«هذه هي صفة الأنثى الوحيدة في شخصيتي»

ولكن جو الحفل جعلها أكثر جرأة مما كانت، فلمعت عيناها وهي ترفعها إليه ضاحكة.

وكانت أمها قد انشغلت بالسيدة «شيروود» بينما لمح «مارك» صديقيه المزارعين في الناحية الأخرى من حلبة الرقص، فلما وجدت «كايتي» نفسها بجانب «فلينت» وهو يراقب أسلوبها بسخرية وحنو، لكنها شعرت بأنه لا يخلو من الخطر.

«هل تغضب «سيندي» لأنك لم تحضرها بصحبتك؟»

ولم تتوقع «كايتي» هذا السؤال من «فلينت» فأجابته ببساطة، وقد ارتاحت

لمرور النسيم على وجهها ليخفف النار التي في داخلها

«لا، وهو يلومك على ذلك ويحمّلك السبب فيما حدث».

فظل يحدق فيها وخافت من حدة نظرته التي أثارتها في الوقت نفسه. وشعرت «كايتي» بضآلتها ليس فقط بسبب طوله الفارع بالنسبة لها بل لتأثيره الجارف عليها، وقدرته على إثارة رغبة فيها لم تعرفها في نفسها من قبل.

«ولا بد أنه غاضب مني».

قالها «فلينت» بحنو وهو يرمقها بإمعان ليعرف أثر كلامه عليها.

«وأقول لك إنني أكثر اهتماماً في الأمور التجارية وأكثر خبرة منك بالشؤون العاطفية. وأن بإمكاني إصلاحه».

فأومأت له «كايتي» برأسها.

«هذا صحيح يا «كايتي» فكل كلمة قالها «سيندي» كانت في محلها».

فارتعشت أعصابها لتخفي الألم الذي شعر صدرها كالسكين، قبل أن ترتسم ابتسامة عريضة وتقول:

«وما الضرر من ذلك؟ ففي هذا الزمن تتعرض المرأة العصرية أو تمر بتجارب عاطفية. وكل رجل الحق في بعض المغامرات قبل أن يستقر بالزواج».

فضحك ضحكة خافتة آسرة وقال:

«إنك ساحرة وجذابة وتنجحين لتثقي في الناس».

وجعلت اليد التي لمستها ألسنة اللهب تلتهب فيها وهو يجذبها إلى الحلبة. إنها كالمسحورة، بل كالأميرة الحالمة التي أنقذها الأمير من نومها ولم تستطع نظرة «سيندي» الغاضبة، وهو واقف بجانب حلبة الرقص أن تطفئ السعادة التي كانت تشع من وجهها. وراقصها رجال آخرون، كل بدوره، حسب قواعد خطوات الرقص الأمريكي التقليدي الجماعي. إلا أنهم كانوا جميعاً كالأشباح بحيث لم تلحظهم عيناها.

وانتهت الرقصة وسط الضحك والصياح والمرح. واستبقى يد «كايتي» في

يده، واستقرت عيناه الياسمينتان على وجنتيها الموردتين. وتعرف كثير من الناس عليه، وتقدموا إليه ليقدموا أنفسهم له. وتقبل فلينت مجاملتهم بينما وقفت كابي تتعجب من طريقته المهيبة التي توحي بالأنفة. شأن أهل سكان غرب أمريكا. وامتلأ قلب كابي بالفخر به، بينما أخذت بنات أصحاب المزارع ينظرن إلى يدها وهي في يد فلينت وفي أعينهن الحقد والحسد.

ولم تكن بريندا فيربانك التي لم ترها كابي منذ زمالتهما معاً في المدرسة الثانوية، لم تكن من النوع الذي يضيع الفرصة أو الذي يتردد من التقدم لمثل هذا الرجل وجذب ظله. فهي فارعة القوام شقراء اللون. فلمست نحو كابي وفلينت وعلى وجهها ابتسامة وقد بدا عليه الغضب. وكانت بريندا معجبة بنفسها منذ أيام الدراسة، وتسيطر عليها غطرسة منعت كابي من التقرب إليها واتخاذها صديقة لها. والآن وبعد سنوات في الجامعة، زادا من شعورها بالعظمة والتعالي على زميلاتها.

«كنت أعتزم أن أزورك يا كابي».

واستشعرت كابي الضحكة من بريندا تحمل كل معاني السخرية واستطردت تقول:

«لكنك تعرفين كيف يطير الوقت عندما أحضر لقضاء بضعة أسابيع قصيرة. ولا يمكنني زيارة جميع الأصدقاء. وسررت عندما علمت بأن آل [illegible] سيقيمون هذا الحفل، فهو فرصة مواتية لرؤية جميع الناس».

ونظرت إلى فلينت نظرة إغراء وقالت له:

«لا بد أنك الرئيس الجديد القادم من أوكلاهوما. فقد كان [illegible] يحدثني عنك يا سيد ماكاليستر».

ولم تهتم كابي كثيراً وهي ترقب نظرة فلينت المندهشة وهي تمر على جسم بريندا المشوق، وقدمت نفسها إليه قبل أن تتيح لكابي الفرصة لكي تقوم بذلك الواجب بنفسها.

«[illegible] بريندا تقول: كنت مع كابي في المدرسة، وطبعاً أرسلني والدي إلى الجامعة. لذا لم نكن على اتصال منذ ذلك الوقت».

وقالت كابي لنفسها وهي تلمس الطريقة التي كانت بريندا تتغازل بها فلينت بجرأة: إنها مازالت تحتكر الحديث لنفسها وتتعطف. [illegible] كلامها الشيق وابتسم فلينت [illegible] ولمعت عيناه [illegible] وزادت يده ضغطة على يد كابي وقال:

«أرجو المعذرة، فقد وعدت كابي بأن أراقصها رقصة الفالس».

وقبل أن تعترض بريندا أخذ كابي بين ذراعيه ودخل بها حلبة الرقص. وكانت نظرة الدهشة على وجه بريندا [illegible] كل ذلك كافياً لأن يرفع كابي إلى قمة من السعادة لم تحلم بها من قبل. فمجرد فكرة تفضيلها على فتاة جميلة مثل بريندا، التي تعتبر من شاكلته ومن دنياه، جعلت رأسها تدور من الفرح. وشعرت كأن قدميها لا تلمسان الأرض. كما توقف الزمن بالنسبة لها وأصبحت قمة العالم تحت قدميها ولم تشعر كابي حتى بالموسيقى. لأن النغم المرح السعيد بدا وكأنه ينبعث من داخلها وكان لضغط ذراعه حول خصرها نغمة موسيقى بعث في وجنتيها لوناً وردياً. كما كانت عيناه تغطيانها بأشياء جميلة بعثت السعادة في كل كيانها وهو يدور بها في سلسلة من خطوات الرقص التي لم يسبق لها أن رقصتها، إلا أن انسجامهما معاً كان تاماً بحيث لم تخطئ كابي في حركة منها.

وعندما تلاشى آخر نغم من الأوركسترا، كانا في الجانب القصي من حلبة الرقص وبعيدين عن بقية الراقصين. وكانت كابي تلهث من السعادة لا من التعب. واليد التي ظلت حول خصرها بعد أن توقفت الموسيقى دفعت بها نحو الباب المظلم من الحديقة. وتركت كابي نفسها تنساق لهذه اللحظة الساحرة ولم تستطع مواجهة نظرته خشية أن يرى فرط سعادتها وتعلقها أكثر منه. ورأت كابي سوراً أمامها تستند إليه والسعادة تغمرها، وسألته والضحكة على

شفتيها تصيح من القطط بعد أن استندت إلى السور وأمسكت بأعمدته
«هل أجمل الفتيات يحتفلن هكذا دائماً من السعادة؟»

شعرت كأنها تطير في الجو ولا تربطها بالأرض إلا يداها المستكتان بالسور.

وابتسم «فليت» وقال:

«إنها أفضل طريقة لتهوين من مص قدمي أثناء الرقص»

واستقرت عيناه عليها لحظة قبل أن يخرج سيكارة من جيبه ويقدم إليها أخرى. إلا أنها رفضتها وفضلت أن تنظر إلى السماء التي تزينها النجوم.

«لا بد أن لديك الكثيرات منهن. أعني الصديقات»

ونظرت إليه في دلال من فوق كتفها وتمنت لو لم يكن وجهه في الظلام حتى تستطيع أن تقرأ أفكاره. ولاحظها وهو يستند إلى السور ليتفحص وجهها فقال:

«إنهن يقلن وهن يشاركنني انتظاراً لإشارة مني»

وقالت «كابي» تتمازح به في لهجة تهكمية:

«لا بد أن فرص الأمهات على مرضى يناهن أمامك، فلا شك أنك أشهر أعزب في المنطقة، وصيد ثمين للخاطبات ومشرفات الزيجات الأمعة»

ومص طرف السيكارة في الظلام وهو يسحب النفس منها.

«هل تفكرين في دخول حلبة المنافسة مع الباقيات؟»

«يا إلهي إنني لا أجرؤ على ذلك»

وكان من الصعب عليها أن تضحك وهو ينظر إليها من خلال دخان سيكارته، وقالت وهي تجاريه:

«إنني مجرد فتاة ريفية بسيطة، ولا أشارك بالفتيات الأخريات، كما أنني لا أستطيع منافستهن»

«بل تصبحين منافسة خطيرة»

وشعرت «كابي» كأنها تغرق، وهي تنظر إلى مواجهة عينيه الرماديتين وتستمع إلى لهجة صوته الساخر.

وإن عيناه ناعستان ويحاولان بجهد كبير أن تخفيا شفتيه المنطقية اللاذعة كما أن شعره ناعم ممشوط وخالٍ من العطور اللازمة بحيث يستطيع الرجل أن يعيش بعد.

واعترض على ما يقوله لعدت بعد «فليت» وأصابعها خلال خصلات شعرها قبل أن تستقر على مؤخرة رأسها فحبست أنفاسها وأغمضت عينيها فرحاً باللذة لمسة اللذيذة واستجابة «فليت» يقول:

«إنني أضايقك، أليس كذلك؟»

وفعلاً كانت «كابي» خائفة من رد الفعل الذي يمكن أن يحدث لها إذ خشيت ألا تستطيع مواجهة الموقف. ولم يكن في وسعها إنكار هذه الحقيقة. فهي تعلم تماماً أن وجهها يفصح عن مشاعرها ويعكسها له بوضوح ظاهر. وقالت بصوت أجش:

«لم تكن لي علاقة بأحد من قبل»

قهقه «فليت» وقال:

«يا للأسف»

وظل ينظر إليه في وجهها بدون أن يحاول إخفاء سعادته عندما رأى بريق الانشغال والفرح الذي يشع في وجهها لانتصارها على نفسها وسألته بصوت خافت:

«ما الفرق؟»

«إنك في الحادية والعشرين من عمرك. وفي هذا الزمن الذي يتصف فيه الحب بالتحرر تكون علاقتك برجل هي أقل الأشياء»

ودت لو أنه عندها يظهر بعد وقت «كابي» أن تستجيب لملاطفته مثل القطة الأليفة التي تستسلم في صاحبها، وتابع «فليت» كلامه بقوله:

«لكنك لست من هذا الصنف يا «كابي» وأنت تعلمين ذلك. فأنت من طراز قديم ومصرة للانتماء إلى رجل واحد وهو شيء نادر هذه الأيام»

ووقفت ساكنة بين ذراعيه ورقصه الرتيب يحز في نفسها الرعشة.

«أظن ذلك، أنت تريد معرفة السبب ولكنهم سيبحثون»

ترفع ذقنها إليه برفق ونظر إلى سواد عينيها وقد مال رأسه إلى الجنب.

«يسرني أن أعطيك التحدي، ويعزيني إذا كنت مخطئاً في تقدير حالتك»

وابتعد عنها وهز يده وقال:

«سيبحثون عنا في الحفل، ولا أريد أن أثير المزيد من غضب ستيفي»

ورأت كاسي أن تمسك بيده بل ثابت في تهكم ظاهر

«كلا.. يجب ألا تغضبه»

وعبس ليت في أثناء وهو يسير وراءها وهي تمشي بسرعة نحو الطاولة الصغيرة:

«ربما هذا هو الأفضل»

ورفعاً عنها بسمت بالغضب، متضايقة من صوته، وخاب أملها لأنه وضع حداً لمحاولاته معها، ولو أنها حاولت إقناع نفسها بأن ذلك لصالحها فقد كانت لا تزال تعاني من الصراع بداخلها الذي تحول إلى ملله. وسألت نفسها لماذا لم تبق مدة أطول بين ذراعيه

وسمعت صوت ليت يقول وقد علا فوق صوت الموسيقى:

«كنا نبحث عنك يا ستيفي»

فتطلع ستيفي في وجه كاسي وقال:

«لا بد أنكما تتحدثان عني، لأني كنت أنا أيضاً أبحث عنكما»

فردت عليه بتحد واضح:

«حقاً وهكذا حدث لويد؟ إنني أتعجب كيف استطعت البعد عنه»

وانسحب ليت من بينهما، وهو يتأمل كاسي التي ظلت تتابعه بنظراتها وهو يبتعد عنها

وعندما رأى ستيفي نظرة الحزن في وجه كاسي لانصراف ليت

قال:

«هل تشتاقين إلى ثالثة صحابته؟»

فقالت له بحنق:

«ما أريد أن ترقص معي؛ إذا لم ترد يمكنك الانصراف من أمامي»

وشعرت براحة لأنها استطاعت أخيراً أن تصب جام غضبها على شخص آخر غير نفسها.

١٠ ـ النظرة تحدث دوائر

ظلت ذكرى تلك الليلة تلاحق «كاتي» أياماً طويلة، فباستثناء موقفه من مستر «فلنت» في خدمتها وبعض إشاراتها بعد الليلة، لكنه نجح أن يظل بين جموع الشخوص ولم يحاول الاقتراب بها، كما لم يحاول ذلك في الأيام التي تلت الحفل، ولاحظت «كاتي» كأنه كان يتعمد إبعادها عن طريقه.

وتمنت لو كان في إمكانها أن تمسح لحظة تجربة تلك ظلت يحتكيها كأنها الشيطان ثم ضحكت من نفسها وتعجبت كيف تحول مثل هذه الفكرة في خاطرها، كان «فلنت» هذا عندما قال إنها ليست من ذلك الصنف ومع ذلك لم يخبرها من حقيقة تعرفها تماماً وهي أن «فلنت» لن يرضى إلا بعلاقة عابرة بينهما، وإن تراه يعرفه بأهمية أنقضية من أي منافسة مع غيرها يكون الزواج نتيجتها.

وأنت «كاتي» بمحصلة في تلك ورأيت الدوائر التي أحدثها سقوطها وقالت في نفسها إن نظرة من «فلنت» تحدث في داخلها أثراً أقوى من هذه الدوائر، فإن رغبتها العاطفية استثيرت وتضخمت، واتضح لها أن حبها «القديم» مثل رغبتها قد أصبحا لا يحتملان التكرار، كما ازداد حبها له يوماً بعد يوم.

وحاولت أن تتجاهل الأسابيع القادمة لأن أباها سيعود قريباً من المستشفى ثم سيضطر «فلنت» إلى الرحيل، وحقاً أنها في وقت من الأوقات كانت تشرق لمجيء ذلك اليوم. أما الآن فقد بدأت تشعر بالفراغ الذي سيحدثه رحيله في

حياتها، وهو فراغ آخر يحدثها بشرية ويكبر لها من أيامه ويقتنصها ويتركها بها لمرة حقيقية. ربما كانت فكرة رحيله تسبب لها مثل هذه الكآبة الآن، وهو ما زال موجوداً، فكيف يكون الحال بعد رحيله!

وسقطت قطرة ماء على ذراعها بينما سرت في الأرض رجة لم تقدها ملامحها فحولت عينيها عن البحيرة ورفعتهما إلى السماء ورأت البرق يومض وهو يشق طريقه عبر السحب المتراكمة التي تسير بسرعة في طريقها وسرعان ما اهتزت الأرض ثانية بأصداء، عندها بينما سقطت عليها قطرة أخرى من الماء، فقد كانت العواصف الصيفية شيئاً عادياً بالنسبة لولاية «نبراسكا» والتفتت «كاتي» نحو المظلة المزروعة التي تركت حصانها يرعى فيها.

كان رأسه منتصباً وعيناه تزوغان خوفاً من البرق المنبعث من بين سحب العاصفة، وفجأة تحفز الحصان، ورفس على قدميه عندما دوى الرعد ثانية قبل أن تنطلق بعيداً عن البحيرة نهضت «كاتي» واتجهت تنادي على الحصان الذي أخذ يعدو خائفاً بعيداً عنها، ورأسه عالٍ وهو يميل بها إلى أحد الجانبين ليسبح اللجام من التحي، في طريق أقدامه فعادت «كاتي» تنادي بكل قواها «قالي، قالي»

إلا أن نداءها راح هباء وتلاشى مع صوت المطر المنهمر وفي لحظات ابتلت ملابسها وقالت لنفسها أن لا فائدة ترجى من الوقوف هكذا، وهي تنظر إلى الحصان الهارب، فمشت إلى قمة التل تتبعه وتحاول استدعاءه، لكنه كان يختفي عن نظرها، وفي ثورة غضبها وضعت أصبعين من يدها في فمها وأطلقت صفيراً لاستدعائه لكن بلا طائل، إذ لم يبطئ الحصان من عدوه. ونظرت متجهة إلى السحب القاتمة قبل أن تبدأ مسيرتها متجهة نحو المنزل الذي يبعد سبعة أميال تقريباً من المكان الذي كانت فيه، وفكرت وقتئذ لم أمكنها ألا تشعر بالندم والرثاء لنفسها لتورطها في هذه الورطة، وألا تضيع وقتها بالنظر إلى السماء، إذ بدأت أقدامها تؤلمها وهي في رحلتها الطويلة

وفجأة سمعت صهيل حصان، توقفت له خطواتها وابتسمت ابتسامة الأمل وظنت أن «تاتي» قد عاد إليها ولكن عندما نظرت أمامها رأت «كايس» حصاناً أبيض يقترب منها. وكانت المفاجأة! فصاحت قائلة:

«كيف حالك اليوم يا «ميركوري»؟»

وكان صوتها ناعماً، مداعباً للحصان الذي أخذ يضع فمه بالقرب من وجهها، وقالت مسترسلة في حديثها:

«ليس لدي سكر اليوم».

وومض البرق ثانية وكان قريباً منها هذه المرة. اقتربت بكل عنفها وتأكدت «كايس» أن لديها فرصة واحدة للوصول إلى المنزل قبل أن تنفجر العاصفة بأقصى شدتها وينهمر المطر. لكنها لم تركب «ميركوري» من عدة سنوات. وكانت المشكلة هي قدرتها للسيطرة عليه وتوجيه إلى المزرعة بمجرد وخز ركبتيها في جنبيه.

ولم تجد أمامها مناصاً من تجربة هذه الطريقة القديمة. وانتاب الحصان الفزع عندما اعتلت ظهره العاري من السرج. وتحرك الحصان تحتها بقلق بينما أخذت «كايس» تتحدث إليه بصوت خافت وتحاول أن تبعث فيه الهدوء قبل أن تطلب منه الانطلاق في طريقه إلى منزل المزرعة. فأخذ الحصان يسير بتردد وبطء وهو يحاول أن يعوّد نفسه على الثقل الذي وجده فجأة على ظهره، والذي لم يشعر به منذ سنوات. إلا أن الذكريات والعادات القديمة سرعان ما عاودته. وهكذا تحمست «كايس» في دفعه للعدو، وكان الحصان الأبيض العجوز يستجيب لأقل ضغط من سيقانها بنفس السرعة التي كان يستجيب بها عندما كان صغيراً وكان هو و«كايس» لا يفترقان.

وسقط المطر بغزارة وأصبحت قطراته كحبات البارود وهي تقع عليها وعلى حصانها وسرت في الأرض ذبذبات وأصداء تحت حوافر الحصان مثل دوي الرعد. بينما أخذت السماء تلمع بوميض البرق ثم تعود وبسرعة لونها ثانية. وأسرع

ميركوري في خطاه حتى أخذ يعدو بكل قواه. وكانت سرعته تزداد تدريجياً بدون أن تنتبه كايسي لذلك حتى لاحظت الأرض وهي تنطوي تحتها بسرعة هائلة.

ولم تكن لديها طريقة تهدئه بها سرعة الحصان. وكل ما كان في وسعها هو الضغط على جانبيه اللاهثين بالقفز بساقيها المبتلين. وأخذ قلبها يدق في حلقها وهما يسرعان فوق أرض سانتهيلز وأيقنت كايسي أنه يجب الابطاء من سرعة الحصان إذ أن السرعة ضارة لمن في مثل سنه، لكنها مثل حصانها. كانت تذكر تلك الأيام الخوالي، عندما كانا يعدوان هكذا عبر البراري. وأخذت تقنع نفسها أنه ربما لا يجهد نفسه. وأن خطاه لم تكن تسبب له عناء كعهدها به دائماً.

وفجأة وهي تسبح في هذه الأفكار شعرت باختلاف في وقع خطى الحصان وحتى قبل أن يقع ميركوري كانت كايسي تعلم أنه لا بد أن يقع، فقفزت من فوقه وهي تنقلب رأساً على عقب في الهواء وسقطت إحدى الأشجار الصغيرة من حدة سقوطها، ومع ذلك وقفت على قدميها وهي تلهث، ولدهشتها اكتشفت أن جسمها خال من أي كسور في عظامها. ثم استدارت بعينيها الذاكيتين نحو جسم الحصان الهامد الراقد على بعد بضعة أقدام من مكان وقوفها. تعثرت قدماها وهي تتجه إليه وزحفت نحوه. وامتلأت عيناها بالدموع وهي تجثم بجانب الصدر الضخم الذي كان يبتلع كميات كبيرة من الهواء قبل ذلك بلحظات. أما الآن فقد كان الصدر هادئاً تماماً. تصاحت فيه قائلة:

«ميركوري!»

وامتدت يدها لتلمس خصلته الأمامية وأخذ جسمها كله يرتعد وتأكدت أن حصانها قد مات. وأخذت كايسي الرأس البيضاء على حجرها وهي تبكي، بينما أغلق الموت للأبد عيني الحصان اللتين كانتا تشبهان عيني الغزال. ودفنت رأسها في عنق الحصان وقالت له بصوت هامس مرتعش:

«إلى اللقاء»

غاب الآن عنها صديقها وأعز ما كانت تملك، ولم تعد تهتم بالبرق أو بالرعد أو بالمطر.

وشيئاً فشيئاً شعرت بتناقص هطول المطر وتوقفه تماماً بعد هدوء العاصفة. ولم يجذب تفكيرها بعيداً عن الحصان الذي في أعماقها غير يدين أخذتا تقبضان على كتفيها. نظرت بعينيها السابحتين في الدموع إلى العينين الرماديتين اللتين تطلان عليها بحنان من تحت حافة القبعة المبتلة.

«عاد حصانك وحده إلى المزرعة» فقاطعته قائلة:

«هذا هو كل ما أملك» قال فليتشر بينما ضم كاسي إلى صدره العريض حيث أخذت تنتحب من جديد.

«كنت أركبه، وأخذ يعدو، ولم أستطع إيقافه»

كانت تتكلم بصعوبة بسبب الغصة التي توقفت في حلقها من الحزن، غير أن احتواءه إياها بين ذراعيه بعث إليها الطمأنينة وجعلها تواصل الكلام.

«ثم... ثم سقط. لقد مات يا فليتشر»

نظرت كاسي في عينيه فأزاح فليتشر خصلات الشعر المبللة عن وجنتيها وقال بابتسامة حانية:

«لا تلومي نفسك يا كاسي. أليس هذا أفضل له؟»

وأسندت كاسي رأسها فوق كتف فليتشر وأخذ قلبها يهدأ في صدرها وعندما لامست شفتاه شعرها لم تتمالك من الالتصاق به والاستكانة بين ذراعيه. وشعرت بشفتي فليتشر تلمس جبينها وحركت مشاعرها. ثم مسح بشفتيه الدمع من وجنتيها وقبّل النمش الذي يرتسم على أنفها وضغط بيده على كتفيها وأخذ يهمس باسمها بهدوء وبصوت خافت.

وفتحت عينيها المرتعشتين لتنظر في وجد إلى عينيه الرماديتين، وأخذت يدها تداعب خصلات شعره الناعم وهي تجذبه نحوها أكثر فأكثر وكأنهما مرفوعات من السحب العاصفة التي تركتها أكثر ضعفاً واستجابة. وكانت اللحظات مريحة

بحيث رفعتها إلى قمة السعادة. وشعرت بحاستها الفطرية باضطرام مشاعره مثل مشاعرها وأسعدها أنها نجحت في بث نفس الشعور فيه.

وفجأة شعرت بالخوف وأخذت محاولة أن تتخلص منه، وترفض التمادي في الاستسلام لمشاعرها. إلا أن فليتشر تجاهل محاولاتها واستمر في التعبير عن حبه. وحاولت كاسي ألا تستجيب.

وأخيراً نظر إليها فليتشر وابتعد عنها وعندما فتحت فمها لتتكلم أسكتها قائلاً:

«لا تعتذري»

وأمسكها بخشونة من كتفيها ورفعها على مواجهته وقال:

«ما كان في وسعك أن تكبحي جماح مشاعرك يا كاسي، ونحن نعرف ذلك»

وكان الغضب في صوته ووجهه، وشعرت كاسي بالاختناق لأن العبارة كانت موجهة لنفسه وليس لها.

وقال لها فليتشر بلهجة الآمر:

«خذي حصاني وعودي للمزرعة، وأرسلي سام إلى هنا ليحملني على ظهر هيكوري»

ونظرت كاسي نظرة على الحصان الأبيض ثم على السحب الرمادية التي أخذت تنقشع وقالت في نفسها أنها كانت إحدى العواصف العنيفة المألوفة في الحقول الريفية بولاية تكساس. تماسكا إلى لحظة تكون السماء صافية، وفجأة تمتلئ بالسحب الرعدية وبسرعة تمر العاصفة تاركة وراءها الخراب والدمار. ونظرت إلى فليتشر وإلى الغضب الصارم المرتسم على وجهه. فهل كان مثل إحدى هذه العواصف بحيث جاء فجأة وبدون أن يتوقع أحد ليدمر حياة المزرعة الرتيبة وحياة كاسي ثم يختفي بالسرعة التي جاء بها؟

وعادت نظراتها تقع على هيكوري وإنسان حافظا بطول شيء ميت وشيء يولد.

ألم يمت بسرعة أيضاً الهر الذي ولد بينها وبين «ليليت»؟ وما الذي سيولد في مكانه؟ لا شيء سوى القلب الكسير!

وقالت في نفسها: أيها المسكين، ميركوري، كم أنت محظوظ لتحررك.

ثم امتطت صهوة جواد «ليليت» وانصرفت.

١١ ـ من يقاوم الشمس؟

كان ذلك العصر شديد الحرارة بحيث لم تكن نسمة ولم تهتز حتى أوراق الشجر. وكانت شمس الغروب كرة من اللهب تلفح الأرض الرملية بحرارتها. وكانت «كاتي» مكتئبة ومتوترة الأعصاب، وهي حالة لازمتها في اليومين الأخيرين. وما زاد من عصبيتها اليوم زيارتها لمزرعة «سميث». فقد ذهبت إلى هناك لعمل ترتيبات استعارة طائرتهم في اليوم التالي لتفقد الأسوار في المناطق النائية، ولسوء حظ «كاتي» كانت الأسرة كلها مجتمعة على الشرفة عندما وصلت إلى مزرعتهم.

وحياها وإذا «سيمي» بنفس الغرور الذي تعودته منها وأصروا أن تجلس معهم وتتناول كوباً من الشاي. وكان تصرف «سيمي» ولطفه واضحاً بحيث لم يفت والديه أن يلاحظاه. وعندما تكلم أخيراً، كانت أسئلته التهكمية عن «ماكالبستر» تثير في والديه نظرات من الدهشة صوباها إليه وإلى «كاتي». وحاولت «كاتي» أن تكون إجاباتها مؤدبة، لكن كان الغيظ في صدرها يفلت منها ويبدو في ملاحظاتها.

وحاول السيد والسيدة «سميث» أن يتغاضيا عن العبارات المتوترة المتبادلة بين «كاتي» و«سيمي»، واعتبرا العداوة البادية بين الاثنين كأنها شجار يقع بين متحابين.

ولكن عندما داعب السيد «سميث» ابنه قائلاً:

والليلة الجمعة ولا بد ستأخذ السيارة لتحضر «كاتي» للسينما.

عندئذ أخذت محاولة التظاهر بالمجاملات وقال «سيمبي:
إني واثق من أن كاتي و ماكاليستر شيئا ترتيب آخر تلك الليلة، لكني
سأحتاج للسيارة فعلا»
ونظر إلى كاتي نظرة تنتظر بإضافة
«سأذهب لنزل آل توبلي لزيارة ريتشارد»
فتمتمت كاتي بأول عذر يخطر لها وانصرفت، وأصبحت استعارة الطائرة
اليوم التالي شيئاً لا أهمية له. فقلبت قد أثار قلبي نحوها وعاملها كأنها شيء
لا يجب الاقتراب منه وسيمبي يحرمها الآن من أجل تلك القبلة الطائشة مع ريتشارد
توبلي، واضطربت كاتي لموقفها، بحيث أصبحت لا تعي شيئاً مما يدور حولها.
وكان جزء كبير من مشكلتها مع فليت من صنعها هي، فقد أصبحت تجد
صعوبة في النظر إليه بصراحة وثبات. لكنها مثل غزالة هي أبيها بداخلها مزيج
من الفرح والخجل معاً. كانت مشاعرها مضطربة ومشوشة بحيث لم تعد تدري
هل تتجاهل ما حدث بينهما أم لا. إلا أن كلمات فليت المقتضبة كلما تحدث
إليها جعلتها تقرر أن تتجاهل الموقف الذي ظل بينهما.
وظلت قبلة سيمبي أثيا وأخذت تمشيها بلا طائل وهي في طريقها إلى المنزل.
وبحركة تلقائية أغلقت كاتي خلف الباب الخلفي ورائها وهي تدخل
المطبخ. وكانت الغرفة خالية بصورة غير طبيعية، إلا في مثل ذلك الوقت من بعد
الظهر تكون الأم منهمكة في إعداد طعام العشاء. وعبرت كاتي كتفيها
بضيق وأخذت إبريق الشاي المثلج من الثلاجة. ورأيت من النظرة السريعة
التي ألقتها على الفرن أنه ما من شيء يوحي بأن استعداد لوجبة العشاء.
وصبت لنفسها كوباً من الشاي، وعادت رافعة إلى شفتيها عندما سمعت صوتاً
آتياً من الباب فالتفتت ورائها متوقعة أن ترى والدتها إلا أنها رأت فليت
بلا منه. وكان يدلك مؤخرة رقبته بحركة تدل على تعب وإنهاك. ونظر إلى
كاتي نظرة مفكر شارد. وكان تعبيره جاداً وصارماً بينما بدا التعب في عينيه.

وكانت كاتي في نفسها رغبة جامحة في أن تسرع إليه وترفه عنه، إلا أنها
فضلت أن تظل في مكانها كما كانت وهي تدير ظهرها نحو ثلاجة على عدم
إعجابها به. فقال لها بصوت جاف نزل على أعصابها المتوترة نزول السياط
«قضيت نصف النهار أبحث عنك»
وأحست عنقها كأن ظهرها متجها نحو. إذا لم يلحظ دهشتها
«ألا تعلمين أبداً أن تخطري أحداً بمكان وجودك»
فردت بحدة تخفي حيرتها:
«فكرت أن ذلك ليس أمراً هاماً. لكن، أين والدتي؟»
«في المرة القادمة لا تفكري، بل أخبريني ما ينبغي عليك»
وأملها أن يحدثها فليت بهذه اللهجة كما لو كانت طفلة
«أما عن والدتك فقد اتصل بها المستشفى في صباح اليوم»
«هل سيعود أبي إلى المنزل؟»
وحاولت أن تجعل صوتها يحمل معنى اللهفة، مع أنها تعلم جيداً أن عودة أبيها
معناها رحيل فليت.
«كلا»
كانت الكلمة الحاسمة التي قالها كافية بأن تشعر كاتي بالقلق وتجعلها
تبتلع غصة وأحست في حلقها بينما ظلت تنتظر مزيداً من الايضاح من فليت
الذي نظر إليها قبل أن يتابع كلامه
«لقد أصيب والدك بنكسة، وذهبت إليه والدتك صباح اليوم لأن الأطباء يرون
حالته خطيرة»
انتفضت كاتي من القلق وشعرت بتوتر في عضلات معدتها من الخوف.
أرادت كاتي أن يطمئنها فليت بلطف ولكن ليس على حساب صحة أبيها،
وراقبت صراحة وجهه. نظر إليها نظرة ثابتة وقال:
«تكلمت لويل عنه بطبيب فاتق لتقول أنه أمس تحسناً ملحوظاً، وأعتقدنا أن

مكانها الطبيعي الآن هو بجانب والدك لذا سنبقى في «سكوتسبلاف» مع أمها حتى يخرج والدك من المستشفى».

وبقي «غليت» عبر الغرفة وسحب لنفسه كرسياً من الشالي، بينما نظرت إليه «كاتي» في صمت. لقد كانت تكيف نفسها للأنباء التي سمعتها وللتوتر الغريب الذي استولى على «غليت». فكثيراً ما رأته في الأسابيع القليلة الماضية وشعرت أن لديه أشياء أخرى يريد أن يصرح لها بها ويظهر ميلها إلى الشروب الذي في الكوب قبل أن يتناوله بحركة واحدة كما لو كان مشروباً روحياً. ثم صوّب عينيه نحوها وقال:

«لقد قلقت أختي صباح اليوم».

وأطل الوجوم وقع كلامه عليها ثم استطرد قائلاً:

«وسمحت زوجتها معها على أن تبقى معهما حتى يعود والدها إلى المنزل».

فاعترتها الدهشة وهي تقول:

«ما الذي تقوله؟»

وكان الغضب الذي ينم عنه سؤالها كافياً لأن يجعل «غليت» يعز على أسنانه وهو يضع الكوب على المائدة:

«تكلمت مع والدك على ذلك، ووافقني على أنه يجب ألا تبقى هنا في بيت واحد مع رجل آخر، أي معي أنا».

«ويناقا عن» «ماركة»، إنه هنا معنا».

«لا يعتبر صبي في الخامسة عشرة من عمره رقيباً ملائماً علينا».

«هذا هراء! تتصرف كأني لست بدائية يجب أن يغلق عليها البيت بالمفاتيح».

وهزت رأسها وهي لا تصدق ما تسمعه.

وقبل أن يقول «غليت» شيئاً يعبر به عن الغضب البادي في عينيه قالت بسرعة وحدة:

«أطلب إليك ثانية وقل لها أني لن أحضر، فمكاني هنا في المزرعة ويجب عليك

تنبر لا يمكنك القيام به وحدك».

فضرب بيده على المائدة بقوة جعلتها تقفز من مكانها وقال:

«لا تتهمين يا «كاتي» أنني لا أريدك هنا».

وشعرت كأن يده قد مست أعصابها بينما أخذت تنظر إلى العينين الضيقتين اللتين لن تحيدا عن رأيهما وشكّت مراسلتها حركتها بنفس القوة التي أحرزتها تاركها في يوم من الأيام.

فاستدارت «كاتي» والدموع تملأ عينيها إذ لم يبق لديها شك في حقيقة شعوره نحوها: فلم يسع لما يريده صعوبة. لقد كانت أوضح من كلماته التي سمعتها الرفها. كان متبرماً من وجودها لذا قررت «كاتي» أن لا بقية باقية من كبريائها هي الأخرى وضغطت على إطلاقة أظافرها بالفريسة وقالت بصوت عالٍ:

«سأذهب».

وسمعت «غليت» يتنهد راحة ولكنها لم تكن تنهيدة الارتياح لقرارها بل تنهيدة الضيق والألم وأمسكت يداه بكتفيها وأدارها لتواجهه. غير أن «كاتي» سيطرت على نفسها حتى لا تتصرف كما كانت تود أي أن ترتمي في ذراعيه وتستند إلى صدره الذي يغري بالطمأنينة إليه.

«لقد تناولت هذا الموضوع بصورة غير سليمة».

وكان «غليت» ينتقي كلماته بعناية ويحاول أن يبدو منطقياً مسيطراً على نفسه إلا أنه كان بادي الانفعال.

«أريد أن أقول أن هناك أشياء قد حدثت بيننا».

وحلق بعينيه في عينيها لتساعده على إتمام ما يريد قوله. إلا أن «كاتي» ظلت متراجعة، وقد بدت نظراتها التي تحمل كل معاني التحدي. لذا أثار عدم تجاوبها معه غضبه الشديد وعاد يقول:

«ربما يكفينا هنا يا«كاتي»...»

وتوقف عن الكلام ونظرت إليه كاتي في دهشة وأخيراً أدركت فليت بالواقع وقال:

- بصراحة، أعتقد أنك رغبت في حبي.

وكان تعبير وجهه الصارم قد صبغ وجهها بالاحمرار لشعورها بالمهانة. وسألت نفسها لماذا تفضحها مشاعرها دائماً أمامه؟

وحاولت أن يبدو صوتها بارداً وهي تحاول مقاومة رجفة جسمها:

- يا لك من رجل أناني لم أر له مثيلاً! فهل اعتقدت أن وقوع الشابة في حبك يجعلها تعتبر ذلك من حقك؟ فلا بد أنك تعتقد بضرورة الشعور بأي حركة واحدة منك تجعل أي فتاة ملكاً لك.

وتوقفت قليلاً لتسترد أنفاسها ثم عادت تقول:

- دعني أقول لك يا فليت ماكاليستر.. إنني لست من هؤلاء الفتيات وكنت مدركة طوال الوقت أنك رجل تستحق الازدراء. جاريتك في تصرفاتك فقط لأنني أردت أن أعرف هدفك. وعليه فلا تجهد نفسك في حشري إلى قائمة غزواتك.

- هل تحاولين أن تقولي لي الحق؟ لأنك إذا لم تكوني كذلك فإني...

وكانت أصابعه تقبض على كتفيها بشدة. فنظرت إليه وهي تهزأ من محاولته الوصول إلى معرفة حقيقة شعورها نحوه. فقالت بتهكم:

- حسناً فعلت! اتركني حتى أذهب لأعد حقيبتي. إذ سيسعدني أن أفهم أسباب حقيقة أخيها الأكبر.

فتركها فليت فجأة وقال بصوت أجش:

- اتركيني.. واخرجي من هنا.

فردت عليه بنفس الشدة:

- بكل سرور.

وبعد ثلاث ساعات وصل فليت وكاتي إلى المستشفى. وبعدما على

جون فيلمور أنه أصبح أضعف مما كان لكنه استطاع أن يداعب ابنته ويقول لها إنه أتى إلى المستشفى ليراها. وتعجبت كاتي كيف أمكنها أن تبدو طبيعية رغم نفسها خليط من الألم والرعب، تحررها من أي شعور آخر. وتحاشت الإشارة إلى فليت ماكاليستر الذي وقف ساكناً في الغرفة بعد أن تبادل بصعوبة مثلاً لا يزيد على خمس كلمات مع جون فيلمور ثم وقف مستنداً إلى الحائط وهو ينظر إلى كاتي.

ومرت فترة اضطرت كاتي فيها أن تواجه نظرات والدها المليئة بالتساؤلات بعد أن ذكرت أمها أن كاتي ستقيم مع شقيقة فليت. لكنها نجحت في تخفيف حدة هذه العبارة وقالت كاتي ضاحكة:

- ما رأيك في هذا يا أبي؟ أنت تقول إن هناك جاذبية مختصة لكل شيء.. وها أنت في المستشفى وبعد ساعة بإجازة تحت تصرفك لرؤيته.

ونظرت الأم نظرة خوف وجهتها إلى كاتي ثم فليت. وعلى الرغم من أن كاتي بدت طبيعية إلا أن فليت لم يكن طبيعياً ولا تريد أمي في الدنيا لا تلاحظ الأمور الغالية التي كانت تحيط تشعر بها وهي تحدث في بيتها في الأسبوعين الماضيين. فهل ارتكبت خطأ بموافقتها على الزواج من فليت بأن تقيم كاتي مع شقيقته؟ لقد بدا الاقتراح معقولاً في أول الأمر. وعندما همت بأن تقص حقيقة تساؤل أبيها عن الفراق من المتاعب الزوجية بينها وبين فليت دخل أحد الأطباء ليطمئن على مريضه. فانتهز فليت الفرصة واقترح أن ينصرف هو وكاتي. وقد بدأت كاتي كل من التظاهر بالفرح لها وأقالت مسرعة عن الزواج المؤمنة. وظلت بعدة لتطمئن أبيها على أنها ستأتي لزيارته كلما استطاعت.

ولم تستطع كاتي أن تذكر الرحلة من سكوتسبلاف إلى أريزونا طويلة إلى هذا الحد كما لم تستطع أن يحادثها فليت في أثنائها بهذه الطريقة وهذا الاحتمال. تخشى تعبير وجهه الذي كلما كان يبدو شعرها كان يشم عن

الغضب علاوة على النظرة الجافة في عينيه. أما هي فلم تحاول التخفيف من حدة التوتر في السيارة، بل انزوت بجانب الباب ونظرت من النافذة وحاولت أن تتخيل «ليليث» غير موجود فيها على الإطلاق.

وعندما مرا «بتشيشستر» شعرت «كاتي» بالدموع الحبيسة تعكر صفو عينيها، وأخذت تفكر بما ينتظرها من متاعب.

لقد أصبحت تعرف بحبها «لليليث» كشيء واقعي. لذا فإن رفضه إياها وعدم رغبته في وجودها معه بدا كالجرح النازف الذي أبت كبرياؤها أن تصفح عنه.

وظهرت مياه بحيرة «ماكورين» وهي تشع من خلف التلال الرملية التي تحد وادي نهر «بلات». ووجدت «كاتي» نفسها تفكر في المكان الذي كانا يقصدانه. كما وجدت أنها تعرف القليل عن السيدة التي ستقيم معها. مجرد اسمها «كاترين» وسنها، وهو أربعة وعشرون عاماً، وعملها وهو الكتابة الحرة والتأليف. وبالنسبة إلى سؤال «ليليث» عنها إلا أنها كانت تكبح هذه الرغبة وتبعدها عن ذهنها. وشعرت أن من الخطأ الوقوع في مخالطة أسرته خلال أن تصورها نحوه بالصورة التي هي عليها. فكم هي الأيام التي ستحضرونه فيها وكأنه بينهم. وارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة عندما تذكرت أنها كانت تراودها أن رحلتها ستكون بداية إجازة. وهي حقيقة بعيدة عن الواقع. إذ ستكون تجربة مريرة لأعصابها وشعرت أنها لن تتحملها.

وانحرف «ليليث» بالسيارة عن الطريق العام إلى البحيرة. وفي ضوء الغروب الخافت لفت نظر «كاتي» كابين حديث الطراز ذو شرفة واسعة خلف المبنى، ويطل على مياه البحيرة الزرقاء. ودل الطراز البسيط على أصالة وذوق رفيع. وهو السبب الذي جعل «كاتي» ترتجف حين أوقف «ليليث» السيارة عنده، بحيث تراودها في نفسها شعوراً بالخوف وجعلها أكثر حساسية بسبب تواضع أصلها وخلفية أسرتها.

وتوقفت السيارة في نفس الوقت الذي حدث فيه دقات قلبها. وأوقف «ليليث» المحرك وانتظرت «كاتي» بخوف فتحه لباب السيارة معلناً انتهاء الرحلة. إلا أنه تمهل ولم يتحرك، بل التفت إليها في ظلام السيارة. فعادت دقات قلبها تسرع من جديد. وكانت المسافة بينهما صغيرة بحيث يمكنها أن تصبح بين ذراعيه في لحظة واحدة. وانعكست ثورة مشاعرها المفاجئة، رغم أنها استعادت في مخيلتها ذكرى اللحظات الماضية وهو يقترب منها.

وقال «ليليث» بصوت حنون أثار أعصابها أكثر من أي شعور بالغضب:

«قلت في المستشفى إنك ستقومين بإجازة. أرجو أن تكوني جادة في ذلك. فقد حدثت أشياء كثيرة في الأسابيع القليلة الماضية تحتاجين للراحة منها. لذا فإن حياة الهدوء ستتيح لك فرصة التفكير بإمعان وتعطيك مهلة للتعرف على حقيقة مشاعرك تجاه أشياء كثيرة».

فردت عليه بحدة:

«كف عن التمثيل. فأنت تعلم جيداً أنني لست تلك الأنثى التي... لذا وفر شفقتك للفتيات البائسات اللواتي يقعن في حب الرجال الشاقين المعجبين بأنفسهم مثلك».

والتمع الغضب في عينيه لثانية قبل أن يعود إليهما جمودهما:

«يجب أن ترشدك عواطفك إلى الاعتراف بأن ما أقوله هو الواقع».

«قالت لي عواطفي أنه ما كان يجب أن أرتكب خطأ «أكتوبر» بقدومي، وأكبر خطأ اقترفته هو أنني لم أستمع لعواطفي هذه».

فرد «ليليث» وقال:

«تقترفين خطأ أكبر إذا استمررت في عنادك».

فردت عليه ثانية، وهي ترفض الاعتراف بأنها كانت خائفة من تهديده:

«لا فائدة من الكلام معك».

ثم فتحت باب السيارة ونزلت منه قبل أن تتيح له فرصة منعها. وشعرت كأن ساقيها لا تقويان على حملها لكنها نظرت إليه بكبرياء وهو يغلق باب السيارة

الذي خرج منه وحمل حقيبتها من مؤخرة السيارة. وأمسكت نظرة الاحتقار المرتسمة على وجهه لمحة في حق "كابي". لكن ما لمسته في هذه الساعة هو أن تبتعد عنه وتطلق العنان لدموعها التي حبستها طيلة الرحلة. فلم ترد أن يعرف أن في استطاعته إثارة بكائها وأشار إليها "فليت" بأن تتقدمه إلى الكابين. وكان من الصعب عليها أن تحتفظ باستقامة قدميها وبرفعة رأسها وثبات مشيتها وهي تعلم أن نظرته مصوبة إلى ظهرها. وهدأت مشاعرها قليلاً عندما انفتح باب الكابين الأمامي وظهرها فيض من النور.

«كنت أخشى أنكما لن تصلا أبداً».

هكذا رحبت بها، بصوت يفيض سعادة، الفتاة الفارعة القوام ذات الشعر الداكن الواقفة في فتحة الباب.

١٢ ـ بصراحة لا أريدك

بعد أن انصرف "فليت" قالت "كلي":

«كان جاف الطبع، أليس كذلك؟ لم يكن أبداً مثالاً لشهامة الرجال واحترامهم».

واعترفت "كابي" بالواقع ببعض أرائها وقالت، وقد آلمها أن أحداً غيرها لاحظ برودة وعدم احترامه لها:

«نعم كان فظاً».

كان "فليت" متعصباً في كراهيته إزاء عرف التقاليد بعضها باختصار قبل أن يعلن أنه يجب أن يعود "لستاندفيلد" لكي يصل إلى المزرعة في وقت مناسب. لذا رفض ما عرضته "كلي" أن تقدمه له من مرطبات وانصرف بإيماءة مقتضبة "لكابي" على سبيل الوداع.

وبالرغم من أن "كابي" كانت لا تزال تشعر بضيق إلا أن ترحيب "كلي" كان حاراً وودياً. وظلت تحاول خلق روح من الود والصداقة بينهما. وكانت مشكلة "كابي" هي تصورها أنها رجل "فليت". أصبحت مجردة من الدرع الواقي الذي كانت تحتمي به بعد أن اقتحمت، وحيدة، من التوتر والضغط وجدت نفسها ترتعد على الانهيار والبكاء. وقالت لها "كلي":

«إنني مشغولة بشيء ما في المطبخ. أرجو أن تدخلي وتستريحي في غرفة الجلوس حتى أنتهي فوراً».

«شكراً، سأفعل ذلك».

وكانت الغرفة مبهجة إلا أن "كابي" لم تكن في حالة تسمح لها بأن تشعر بها

حوضاً من صابون، وكانت الجدران مكسوة بألواح من الخشب لم يعطها طلياً ريفياً محبباً. ووجدت في الغرفة كرسياً من القش الأبيض يذكرها بالقوس في أغانيه والاسترخاء في أعطافه. لما جلست كابي عليه وغابت في وسائده اللينة الملونة وجاءت كاي بعد لحظة وفي يدها كوب مثلج من المرطبات يطرق شاربه بالقطرات المتجمدة خارجه.

وكان طعم العصير منعشاً ومنطلقاً على كابي، فساعد على ارتخاء عضلاتها وتهدئة أوصالها.

وأضافت كاي قائلة:

- أشعر أنك في حاجة إلى شراب أكثر قوة ولطافة من مجرد العصير.

لكن تنهدت كابي ووضعته على رأسها وركزت نظرها على الكوب وهي تتلذذ بسماع صوت ملامسة الثلج لجوانب الكأس ورنينه.

واسترخت كابي بظهرها الفارع على الأريكة المجاورة وقالت:

- كيف حال والدك؟

- أحسن بكثير. وصل تقرير الطبيب الى غرفته هذا الصباح وبدأ في التحسن. وكان بجانبه عندما كان ... عندما كنا هناك.

وكانت تفكر في أي شيء، تقوله. شيء يمنع ذهنها من الصورة المتشكلة في قلبها [illegible] عن الموضوع الذي تود أن تتحاشاه.

والتفت عينا كابي الخضراوين مع شيء من الزرقة المنعكسة كابي بلمعان قبل أن تسقطا على السوار الفضي العريض الذي يطوق معصمها منذ أمس. قالت: القلق والاهتمام وهو يقلقني طوال اليوم فهو ليس من الصنف الذي يطلب الاستدانة بلا سبب.

فابتلعت كابي ريقها بصعوبة، لكنها لم تستطع التخلص من الغصة التي في حلقها، وتنهدت كاي رغبة لتعطي كابي الفرصة للتعليق على ما قالته قبل أن تتم كلامها.

في إجازات نهاية الأسبوع التي زرتنا فيها. فقلت: قال لنا الكثير عن أمر بكم فهو معجب بوالديك. وقال أن لك أخوين. أليس كذلك؟

فردت كابي بالإيجاب.

- [illegible] قلت أن ... ماذا. أليس هو الأخ الأصغر؟ سيصبح مزارعاً ومربياً للخيول الأصيلة. كما يعتقد. قلت أن لديك ميلاً طبيعياً وخبرة نظرية بالأرض.

فتنهدت وقالت: لا سبيل إلى الهروب منه. وتعصف الشكوك حولها بالموضوع وشعرت أنها تريد أن تسيل على خديها دموع واقفة ووضعت الكوب على الطاولة وحاولت أن تستعيد ضبطها بلا طائل. فقالت كاي: وهي لا تريد أن تبكي أمامها

- أرجو أن تأذني لي بالانصراف. أعلم أن الوقت مبكر لكنني أشعر بالتعب وأريد أن أعود الى غرفتي.

قالت ذلك وهي تحاول التغلب على صوت التعب الذي أخذ يقترب من نبراتها.

ولاحظت كاي [illegible] وقالت تقول:

- لا داعي للاعتذار، فإنني أتفهم شعورك جيداً.

وقادت كابي إلى غرفة نوم صغيرة. وأرتها موقع الحمام والأدراج الفارغة في خزانة أبواب الثياب والخزانة التي ستعلق فيها ملابسها، ثم تركتها وانصرفت، بعد أن قالت لها:

- يمكنك أن تتأخري في نومك كما تريدين. فأنا أعمل في الصباح الباكر، لذا يستحسن أن تغطي رأسك بوسادة إذا سمعت صوت الآلة الكاتبة. والآن أرجو أن تستمتعي بليلة سعيدة هادئة يا كابي.

وعندما أغلقت كاي الباب وراءها، ألقت كابي بنفسها فوق السرير وخلعت حذاءها وملابسها وراحت في النهاية تحدق في سقف الغرفة الذي سرعان ما غابت زخارفه في غرابة من الدموع.

في صباح اليوم التالي استغرقت كايلي نصف ساعة لكي تزيل آثار دموع الليلة السابقة، وبالرغم من محاولاتها لم تفلح الوسائل الصناعية في إزالة الشحوب الذي ظهر في وجنتيها والانكسار الذي بدا في عينيها. ومع ذلك هزت كتفيها لتقنع نفسها بأن لا داعي للاهتمام بمظهرها، وارتدت بلوزة خضراء تلائم لون بنطالها، وعندما دخلت إلى غرفة الجلوس، كانت كاسي تخرج من المطبخ وهي تحمل صينية في يدها وقالت ترحب:

«هذا وقت راحتي من العمل ووقت إفطاري».

ومشت أمام كايلي في طريقهما إلى الباب الزجاجي المؤدي إلى الشرفة.

«غالباً ما أتناوله دائماً عندما يكثر العمل وأجد صعوبة في الاستمرار في الجلوس أمام الآلة الكاتبة. فأرغب بأي عذر أقوم من أجله من أمام الآلة. وما رأيك في أن تشاركيني من الفطار؟ فطائر محشوة ومربى وقهوة».

«تبدو شهية».

وتبعتها كايلي إلى الشرفة المشمسة ولم يسعها إلا الإعجاب بالروب الأخضر الذي كانت ترتديه كاسي وقد عقصت شعرها الطويل فوق رأسها.

ولاحظت كايلي أن كاسي تطيل النظر إليها فقالت:

«هل يعجبك روبي؟ يتوقع معظم الناس من الكتاب أن يكونوا غريبي الأطوار في تصرفهم لذا أردت ألا أخيب ظنهم».

ابتسمت كايلي وقالت:

«تبدين طبيعية في هذا الرداء ولا أعتقد أن أحداً يعتبره غريباً».

ثم سحبت كايلي كرسيها بعيداً عن الطاولة وقالت:

«ما هو شعورك ككاتبة؟»

«العمل في الكتابة له محاسنه ومساوئه. فالمساوئ هي عندما تتمعنين في الورق أمامك ولا تجدين ما تكتبينه بينما الآلة الكاتبة أمامك ومفاتيحها تحدق إليك في صمت. ولكن من ناحية أخرى فإنها لسعادة غامرة عندما ترين اسمك في أول

غلاف يشير لك، بشرط ألا يساورك شعور اليأس عندما يرفضون نشر مقالاتك الجيدة».

وأخذت كايلي تحتسي القهوة وتستمتع برائحتها العطرة الأخاذة. وعادت تسأل وهي تمد الزبدة على الفطير:

«ما هي مواضيع كتاباتك؟»

«قصص قصيرة ومقالات للمجلات. وهناك فكرة تجول في ذهني وتصلح لقصة طويلة لكنها حتى الآن لم تر النور ولم تصل إلى الورق بعد».

واستندت إلى ظهر مقعدها وأخذت تأكل وهي تنظر إلى البحيرة.

وفجأة امتقع لون كايلي حينما لاحظت وجه الفتاة الجانبي الأرستقراطي. كانت هذه الفتاة الغريبة تشبه فيليب شبهاً شديداً. كان لها نفس عظام الوجنتين والأنف المستقيم والحاجبين الكثيفين إلا أن عظام وجهها كانت أكثر أنوثة ورقة، وكانت رائعة الجمال بطريقتها الخاصة. أما الآن فكانت صورة من فيليب. أثارت كايلي لتشابه ملامحها الرائعة الجذابة مع ملامحه.

ونظرت كايلي بعينيها الخضراوين المشوبتين بالزرقة إلى عيني كاسي اللتين ملأهما الألم وقالت:

«هل اكتشفت التشابه الموجود بين أفراد أسرتنا؟»

ووجدت كايلي صعوبة في مواجهة عيني كاسي اللتين ملأهما الذكاء والفطنة.

«لا أدري ما تعنيه».

وارتبكت كايلي وهي تحاول تجاهل نظرات كاسي المصوبة إليها.

«كلنا أفراد أسرة ماكاليستر متشابهون في شيء أو آخر فلكل منا أبا وأبيه. وفيليب له نفس التركيب العظمي ورغم أن شعري أفتح من شعره وليست لي تلك الزوايا العميقة التي تضفي على فمه ابتسامة دائمة. وكنت متأكدة من أنك ستكتشفين هذا الشبه عاجلاً أو آجلاً».

وحاولت «كاتي» أن تخفي ارتباكها وراء فنجان القهوة وهي تعترف لنفسها بوجود الشبه بين الأخت وأخيها.

«يبدو أنك قضيت الليلة باكية».

ولم تستطع «كاتي» أن تمنع فنجانها من الارتطام بصحنه عند عبارة «كاي» التي لم تتوقعها.

«لم أصبح كاتبة ناجحة بدون قدرتي على ملاحظة الناس المحيطين بي. فلست امرأة سهلة، ولن أحاول أن أكون كذلك».

وظهرت في عينيها نظرة عطف وهي ترى تضارب العواطف تتلاحق على وجه «كاتي».

«أظن أن موضوع ليلة أمس كان من أجل أخي وليست من أجل أبيك. فهل هذا صحيح؟»

تملكت «كاتي» فترة دهشة وجالت بعينيها كأنها [illegible] أن [illegible] [illegible] أن تخفي ما تشعر به [illegible] [illegible]

شجعتها «كاي» على الاسترسال في الحديث وقالت:

«هل تريدين أن تحدثيني عن شعورك؟»

فرفعت «كاتي» رأسها ونظرت إليها وهي تفكر، وطمأنتها «كاي» قائلة:

«إنني أتكلم كثيراً لكني لا أبوح بسر لأحد. فلا تظني أنني سأنقل أسرارك إلى فليب. وإذا فضلت عدم الكلام، فلا مانع لدي».

ووجدت «كاتي» نفسها ترحب بفكرة الافصاح عما يدور في قلبها لتخفف من وطأة آلامها وحدها كما أنها شعرت بأن في إمكانها الوثوق في «كاي» كما كانت تثق في «فليب» في وقت من الأوقات. لكنها قررت سلفاً وبين نفسها أن هناك نقطة لن تتحدث فيها بصراحة. لذا تجنبت عنها التفاصيل الخاصة وقصت عليها القصة المختصرة لعلاقتها بالعرض التي [illegible] وهي

يدين لي بوضوح أنه لا يريدني».

واستمعت «كاتي» لرابطة الجأش والهدوء اللذين قصت بهما قصتها فقد كانت الكلمات تخرج من فمها وكأنها منبعثة من شخص آخر. أو كما لو كانت قد استنفدت كل دموعها في الليلة السابقة ولم يبق لها أي مشاعر أخرى تنفعل بها.

«يا له من مخلوق عديم الشعور!»

وانبعث الدخان من السيكارة التي أشعلتها «كاي» وأخذت تنفخ فيها بين شفتيها الورديتين.

«بالرغم من أنه شقيقي إلا أنني أرى أن تصرفه كان جافاً».

وانعكس لون ردائها الأخضر على بريق عينيها واستطردت تقول:

«إذا لم يفطن فليب إلى الفرصة التي كان في إمكانه الحصول عليها فإنه يستحق ما سيحدث له».

[illegible] «كاتي» عبارة «كاي» وسألتها قلقة:

«ما الذي تقصدين؟»

[illegible] «كاي» [illegible] وهي تقول:

«[illegible] ملحوظة عابرة... الآن يجب أن أسرع لأقوم بعملي. ويمكنك أن تمارسي رياضة السباحة إذا أردت. فالشواطئ هنا ساحرة للغاية».

وبعد انصراف «كاي» بدقائق سمعت «كاتي» صوت [illegible] الآلة الكاتبة انبعثت [illegible] لو كانت في المزرعة حيث كان في استطاعتها أن تشغل نفسها بعمل ما. لكن ما كان أمامها الآن هو النظر إلى جمال الصخور بشواطئها الرملية الممتدة حول الجزيرة التي تحاكي زرقتها زرقة السماء. ففي وسط كل هذه الروعة من شمس ورمال. كانت «كاتي» تشعر بآلام حبها لفليب.

وأزعجها صوت التليفون وهو يرن في المنزل وكأنه جرس منبه يوقظها من حلم مزعج وانتظرت «كاتي» لترد «كاي» على التليفون لكن صوت الآلة

الكاتبة تشير على الرقم ولم يتوقف. وظنت «كاثي» أن «كاثي» ربما لا تريد
أن يعرف أحد أنها في المنزل. إلا أنها لم تستطع تجاهل رنين التليفون أكثر من
ذلك فما ردت عليه.

وجاء إليها صوت رجل وهو يرد من الجانب الآخر يرج جعل قلب «كاثي»
يدق بسرعة زائدة.

«هل هنا أنت يا «كاثي»؟»

ولوهلة قصيرة، ذكرها صوت ذلك الرجل بصوت «فليت» العميق. وكادت
ركبتاها تتخاذلان عنها بينما ارتمت على الأريكة بجانب الطاولة التي عليها
التليفون.

«كلا، لست «كاثي». سأناديها لك»

ووجدت «كاثي» صعوبة في السيطرة على صوتها، ووضعت السماعة جانباً
قبل أن يسترسل الرجل في كلامه، وأسرعت إلى الغرفة التي تعمل فيها «كاثي»
ودقت برفق على الباب وقالت:

«هناك مكالمة تليفونية لك»

ارتفعت «كاثي» عينيها عن الآلة الكاتبة وهي تسأل:

«من المتحدث؟»

«لم أسأل. إنه رجل»

«لابد أن يستحق التحدث إليه»

وابتسمت «كاثي» ابتسامة عريضة.

ولم يسع «كاثي» إلا الاستماع عفواً للمحادثة الآتية إلى أذنيها من جانب
واحد.

«هالو. كنت أعمل. تعرف كيف أكون عندما أجلس أمام الآلة الكاتبة فلا
يعرف الباقي عنها إلا انتظار ثانية أنت تقصد إنها «كاثي فيلبور» فلا بد
تذكر أن «فليت» تحدث عنها كثيراً. فهي ستقيم معي حتى خروج والدها من

المستشفى. إنني آمل مقابلة والدها، لما دعت وهل ذلك حتى نهاية الأسبوع. إذن
أتطلع إلى اللقاء. إلى اللقاء.. إنني أحبك»

وانصرفت «كاثي» إلى «كاثي» بعد أن وضعت السماعة في مكانها وعيناها
تبرقان من الضحك وهي تقول:

«كنت على حق، هذا الرجل هو أبي، وسيحضر مع أمي في نهاية الأسبوع القادم
إنهما مغرمان بالصيد لدرجة الإدمان غير الصحي إبعادهما عن «بيج مالد» مدة
طويلة».

ثم أضافت «كاثي» تقول وهي تفسر عبارتها:

«بيج مالد» هي البحيرة، وهو اختصار محبب لبحيرة «ماكرونالد» وهذا الاسم
الذي يستخدمه أهل المنطقة»

وكانت الابتسامة التي حاولت «كاثي» رسمها على وجهها قد أفلحت فقط في
رفع جوانب شفتيها. وتذكرت أنه لا يحتمل أن يخرج والدها من المستشفى في
الأسبوع التالي، وتساءلت: لا يمكنها أنها مضطرة للسكن مع أحد. فلربما
وهل من مضطرة أن تقابل والديه أيضاً

لاحظت «كاثي» عدم حماس «كاثي» غير صبي، والذي قلبت تربية
ولكنها لم تعلق عليه، بل استأذنتها وعادت إلى الغرفة المجاورة عملها.

١٢ ـ زهرة ضاحكة

ومرت الأيام بعد السلحفاة، وكان النهار بالنسبة لـ«كاتي» عبارة عن ساعات طويلة كانت تشعر فيها بثقل حبها كحمل ثقيل تنوء تحته، حتى لم تعد تقوى على احتماله. حاولت «كاتي» في الأيام الأربعة الماضية أن تملأ وقت «كاتي» بأشياء تذكرها بها معاً.

وأخذتها مرتين في سيارتها لتزور والدها في المستشفى. لكنها كانت زيارات مؤلمة بالتوتر وحرصت فيها «كاتي» على كلامها حتى لا تفضح حقيقة مشاعرها. لقد أحسن والدها كثيراً وكان يتوق إلى اليوم الذي يعود فيه إلى بيته، ولأول مرة وجدت «كاتي» صعوبة في مناقشة شؤون المزرعة مع أبيها لكل جملة من كلامها كانت تحتوي على اسم «فليتشر»، بل أصبحت الحياة كلها الآن مرتبطة به برباط متين.

وبذكائها الحاد وحماسها المرهفة فهمت «كاتي» المشكلة وحاولت أن تصحح الوضع فوراً. فاصطحبت «كاتي» في الأمسيات الأخرى في رحلات لزيارة «أوغالالا» التي تبعد عشرة أميال عن بحيرة «ماكونوي» وأخذت تريها كل المعالم التي تهم «أوغالالا» عاصمة رعاة البقر في ولاية «نبراسكا» مثل القصر المبني على التل وشارع «فرونت» ومقابر «بوت هيل» وغيرها. أما مجموعة الصور الباهتة لرعاة البقر التي رأتها «كاتي» في المتحف الرئيسي في نهاية الطريق، فكانت تذكرها بـ«فليتشر» كما رأته «كاتي» مراراً وعندما ترنو إلى الأفق البعيد. أما الروضة الموحشة التي تحيط بمقابر «بوت هيل» فكانت صدى للوحدة

التي تشعر بها «كاتي» في قلبها.

لذا كانت «كاتي» تصحبها معها للمتاجر وتحثها على شراء رداء بعد رداء مصممة على رفع روحها المعنوية. واستجابت «كاتي» لشراء بعض الملابس الزاهية الألوان التي تزيد من جاذبيتها. لذا انتقت الملابس الزاهية الأنيقة وهي تحاول بشدة أن تغير من شكلها، ثم تعود وتسأل نفسها لماذا كل هذا العناء؟ فالألوان الزاهية لا يمكنها أن تدخل إلى قلبها وتقضي على الأسى الكئيبة في بهجة أو سرور.

رغم أن إقامتها مع «كاتي» خففت من حزنها وجعلتها تقدر على مقاومة هذا العذاب، ولكن المشكلة الكبرى أنها تعتبر نفسها في حرب عليها أن تخوضها وتشعر بالصراع يشب في نفسها كلما رأت طيف «فليتشر» يجول في مخيلتها. لذا كانت «كاتي» تجد راحتها الوحيدة في النشاط الدائب الذي يجعلها تلقي بنفسها على سريرها ليلاً، وتطمئن أن الإجهاد سيضمن لها النوم السريع.

هل كان النسيم هو الذي يعزف في أعواد القطن صباحاً أم هي نفسها التي تتنهد بتثاقل؟ وكانت «كاتي» تتعجب من أمرها فأحياناً كان الصبيان يترجلان معاً حتى تنمو وكان الأرض تشاركها حزنها. وقادتها قدماها على الشاطئ إلى مكان بعيد عن الكائنين حيث كانت «كاتي» منهمكة في العمل. وتسلقت صخرة تقربت منها إلى المراكب المعلقة فوق البحيرة، وأخرجت سيكارة وأشعلتها بطريقة تدل على عدم إدمانها التدخين. فقد كان التدخين من العادات الحديثة التي اكتسبتها «كاتي» حديثاً لكي تعطيها شيئاً تشغل يديها به، إلا أنها لم ترفعه إلى فمها بل سرحت لما انتهت في حلقها.

وظلت «كاتي» بلا حركة فوق الصخرة وتركت حرارة الشمس تحرق ساقيها العاريتين تحت رداء البحر الصغير. والغريب أن هذا نشاطها الإنساني كان يدفع ذهنها الوحيد لكي تستعيد ذكريات «فليتشر». لأن حرارة الشمس على جسدها أعادت في ذهنها شعورها بلمسه ذراعيه، وبينما أغلقت العضلات التي تنسم

ذراعيها أخذت تغمض عينيها وتشعر بأنفاسه على وجهها وهو يضمها، ولاحظتها وقد كانت الرحلة التي تسببها لها هذه الذكريات أكثر إيلاماً من الرحلات التي كان "فليت" يضربها فيها.

واحتارت بينها وبين نفسها وهي تقول: ليس هذا عدلاً.

الطبيعة كلها تتآمر ضدها، حتى السحب الرمادية في الأفق كانت تحاكي لون عينيه وتذكرها به. لون رمادي يتغير أحياناً من براق كالفضة، إلى لون السحب الرعدية الصافية، ثم إلى الهدوء المجرد والصلب.

وتوقفت "كاسي" قليلاً عند حافة الماء ثم خلعت صندلها ونزعت ساعتها من معصمها ووضعتها كلها في كومة مع حقيبة الشاطئ، والمنشفة ثم نزلت إلى البحر، وشعرت ببرودة المياه المنعشة تخفف من حرارة جلدها. وفي دقائق كانت تسبح في الماء بضربات الرسغ الرتيبة. وظلت تسبح وكأنها تتسابق مع نفسها لتبتعد عن العذاب الذي يؤلمها، حتى ابتعدت تدريجيا عن الشاطئ، وهي تستعين بالإرهاق الجسدي لتتغلب على الذكريات الأليمة. وبعد كل بضعة ضربات من ذراعيها كانت تخرج رأسها من الماء لتفرغ الهواء من رئتيها وتستنشق غيره ثانياً. ومن خلال نبض الدماء في رأسها ودوي المياه من حولها بسبب شدة ضربات ذراعيها وساقيها سمعت صوتاً بعيداً بلا هوية. وتصورت تصورت أن الصوت قادم من مكان قريب، مع أنها لم تلحظ سباحين آخرين على الشاطئ، أو معها في الماء. وفجأة اصطدمت قدمها بشيء صلب أصابها وانزلقت بقوتها نحوه وارتطم جانب رأسها به محدثاً ألماً مبرحاً. وغمرتها المياه وهي تحاول أن تعود لتطفو ثانية على سطح الماء، بينما هي تقاوم الألم الذي أخذ ينبض في رأسها. ولكنها بعد لحظة يلتقي ذراعيها ثم بذراعها الأخرى، وفجأة انتشلها شخص من الماء، ووجدت نفسها ملقاة فوق سطح مركب صغير. وهي تلهث، ورأت أشرعة حمراء وأجنحة ترفرف فوق رأسها، بينما أخذت تنز الماء من شعرها وتحاول أن تركز نظرها من خلال قطرات المياه اللامعة على أهدابها.

والتمس جسم بحنوها، وسمعت صوتاً يقول:

هل أنت بخير؟

فمسحت عينيها ونظرت ملياً إلى الشاب الواقف أمامها.

لقد ناديت عليك لكنك لم تسمعيني، عبر الريح ولم تستجيبي للمركب القادم.

وزحفت "كاسي" بنفسها على الجلوس بينما منعها شعورها بالدوار من القيام بأي حركة أخرى.

إنني بخير. كل ما هنالك أنني أشعر بصدمة ورعشة بسيطتين.

وكان صوتها يرتعش، ولو أنها حاولت الابتسام لتطمئن الشاب الذي أخذ يقوم بجانبها لمساعدتها. وارتاح لسلامتها واطمأن على حالتها وابتسم ثم قال:

إليك قليل من القهوة، يجب عليك أن تتناولي شيئاً مريحاً.

ومشى نحو مؤخرة المركب حيث توجد سلة من القش.

وانتهزت "كاسي" الفرصة لتنظر ملياً إلى الشخص الذي أنقذها ثم أصبح منقذها. ووجدت أنه لا يكبرها بكثير. ربما كان في الثانية أو الثالثة والعشرين من عمره. وقدرت طوله، عندما وقف بست أقدام. أما شعره فقد لفحته أشعة الشمس حتى أحالته إلى لون يكاد يكون أبيض. وكان مفروساً بطريقة تتميز بالعضلات القوية المنسقة. أما ما بدا من جسمه من خلال سترته البحرية الزرقاء ومن أسفل لباس أبيض فقد كان شديد السمرة من لفح الشمس. وعندما استدار إليها رأت أن لعينيه لوناً أزرق بالتيه، الغريب عن أن ما انطبع في ذهن "كاسي" عنه لم تكن جاذبيته، رغم شعورها بها، لكن عدم وجود أي شبه بينه وبين "فليت". كانت، بل كان في الواقع نقيضه تماماً.

وابتسم لها فظهرت أسنانه البيضاء وهو يقدم لها القدح البلاستيكي الملئ بالقهوة الساخنة. وانتظر وهو يراقبها حتى احتستها بعطف. وقد أحدثت سخونة الشراب تغلب على شعورها بالبرد. وشكرته وهي تبتسم في وجهه ثانية.

إليها بإشفاق.

وعاد يسألها:

«هل ارتطمت رأسك بمركب بشدة؟ وهل أصبت بارتجاج بسيط أو بشيء من هذا القبيل؟»

وبدت عليه أمارات القلق على وجهها وشعرها كما لو كان يتوقع وجود شيء ظاهر خارجي يثبت مخاوفه.

«لا أدري...»

وضحكت بعصبية ورفعت يدها لتتحسس الجزء المصاب تحت شعرها، ولم يكن هناك شك في أن الجزء كان يؤلمها، لكنها كانت متأكدة أنه مجرد ورم طفيف لا بد أن يزول. وعادت تقول:

«لا أظن ذلك، مجرد كدمة بسيطة.»

«حمداً لله!»

وابتسم الشاب وتنهد معبراً عن ارتياحه، وهز رأسه ومد يده إليها وقد علت الرقة جانبيها وقال:

«أنا سين سورنسون، وقد أسعدني التقاطي برأسك يا آنسة...»

«كاري جيلمور.»

وبعدها انحنت الأشرعة الحمراء والذهبية وانتفخت بعد أن ملأها الهواء الذي أخذ يشتد قليلاً، وزاد نشاط سين وحركته، وأخذ يجذب الحبال ويدير الدفة. أما كاري التي لم يسبق لها أن ركبت سفينة شراعية قبل ذلك، فقد أطلقت ترقبه بإعجاب وشغف، وسرعان ما كانت تنزلق فوق سطح الماء. وقال سين:

«ما رأيك في نزهة حول البحيرة؟ أليس كنوع من التعويض عن ضربة رأسك؟»

فترددت كاري بعض الشيء، إذ لم تكن تعرفه بالقدر الذي يسمح لها بقبوله، إلا أنه أعجبها، ولكنها قالت في نفسها إنه لا يمكن للإنسان أن يأمن أحداً وعيونها لاحظ ترددها فقال مداعباً:

«أتمنى أن أخدعك أو أغرر بك، وسأظل قريباً من الشاطئ، حتى إذا رغبت في مغادرتك، يمكنك القفز من المركب والسباحة إلى الشاطئ.»

فضحكت كاري وقالت:

«يحلو لي النزهة البحرية تحت هذه الظروف، فقد سبق لي ركوب السفن وكنت أشعر دائماً أنها تمتعني.»

فقال سين وكل انتباهه منصب على الشراع وحبال السفينة:

«أعتقد أنك ستستمتعين بالنزهة البحرية.»

وفعلاً استمتعت كاري بها، فقد انسابت السفينة في هدوء ويسر وبلا عناء عبر الماء مثل البجعة الرشيقة وهي تسبح في البحيرة، وظل سين وحده، فاحتفظ بالسفينة قرب الشاطئ، وشعرت كاري كأنها تطير فوق بساط الريح، فقد كانت نزهة هادئة لا يعكر صفوها صوت أي محرك.

وكانت تحيط بالبحيرة تشكيلات من الصخور، ولكل منها شكل فريد في تكوينه وجماله، وزانت الشواطئ، متناثرة بعضها بينما كانت المياه التي تنساب على حوافها تعكس زرقة السماء، وكان السياح بملابس السباحة وثياب الشاطئ الزاهية يشكلون ألواناً متلألئة على تلك الجنة المشبعة بالشمس والرمال، التي يرتادها السياح وطلاب المتعة والراحة. وكانت البحيرة وكل ما يحيط بها من جمال، مثل الواحة وسط الرمال. أما الرحلة فكانت مدهشة لكاري حتى أنها كانت تتمنى ألا تنتهي، ولو أن الفكرة نفسها ذكرتها به ثانية، وتمنت لو كان معها الآن خاصة أنها رأت زوجاً مختلفين يجلسان بها السواد وقد نبتت على إحدى الصخور القريبة من الشاطئ، وبدت كمنارة تهتدي بها السفن، وتخيل لها كأن الزهرة تضحك لها من بعيد، لذا لم تسمع سين وهو يسألها رأيها في الرحلة.

وعاد ينادي عليها فالتفتت إليه لتزيح سحابة الدمع التي غطت عينيها ثم قالت بإشارة تفهم منها سين أنها سمعت نداءه رغم زفزفة الشراع.

«يوجد مرفأ في الخليج القائم به مطعم يقدم طعاماً شهياً، فهل ترغبين تناول

في رده.

فابتسمت وهي توافق على اقتراحه، ثم استدارت لتتطلع إلى البحيرة ثانية حتى لا تضطر للكلام معه. وبعد دقائق كان يقترب بالمركب من الرصيف، وبمهارة وكفاءة كبيرتين قفز إلى الممر الخشبي وربط المركب فيه. ومدت كاتي يدها له ليساعدها على النهوض من مكانها لتصاحبه خارج المركب، لكنه عاد يقول:

«انتظري لحظة»

وقفز إلى المركب ثانية حيث خلع سترته الخاصة بالملاحة ولبس بدلاً منها قميصاً أصفر وألقى بالسترة إلى كاتي قائلاً لها:

«ارتديها، وارتدي هذا أيضاً»

وألقى إليها سين على الرصيف بزوج من الصنادل.

«إنها كبيرة، لكن شعار المطعم هنا هو لا قميص ولا حذاء ولا خدمة»

فارتدتها ورفعت كميها إلى منكبيها، وضحك الاثنان، وكانت كاتي تبدو صغيرة في الصندلين الكبيرين فكان من الصعب عليها أن تحركهما في قدميها طوال الوقت. وهكذا أخذا يضحكان معاً في مرح وانطلاق. وفي المطعم طلبت كاتي همبرجر وكوكاكولا، أما سين فطلب وجبة أكبر من ذلك، إذ كانت كاتي قد فقدت شهيتها في الأيام القليلة الماضية. لذا أدهشها أنها أكلت الهامبرجر بسرعة وتلذذ، وكان الحديث مع سين خفيفاً وخالياً من الجدية، فلم يتناولا أي حديث فيه عمق أو تعقيد. وعلمت كاتي منه أنه طالب في جامعة كريتون بولاية أوماها ويعمل في أوكالالا في فصل الصيف، إذ قال:

«أعمل في أحد المصايف الموجودة على الشاطئ حيث أقوم بصيانة المراكب. وفي أيام عطلتي أبحر في مركبي. وهي عرايس للعطلة بعد دراسة الطب. وأنت؟ هل تعيشين هنا أم تعملين هنا، أم تقضين إجازة فقط؟»

فابتسمت كاتي بحزن وقالت:

«لأسرتي مزرعة في الشمال في ساسكاتشوان وكسرت ساق أبي عندما ألقى به جواده من فوق ظهره وهو الآن في المستشفى. وقد عين رجلاً ليحل محله في إدارة المزرعة أثناء غيابه، وبما أن أمي في سكوتسبلاف مع أبي فقد اضطررت أن أجيء هنا في أوكالالا بدلاً من البقاء في المزرعة مع رجل غريب».

فضحك سين وقال:

«تبدو القصة وكأنها تحدث في العصور المتوسطة القديمة. ومع من تقيمين هنا؟»

وترددت كاتي في الحديث وهي تشرب الكوكاكولا ببطء:

«مع كاتي ماكاليستر شقيقة الرجل الذي عينه هناك»

فصفر سين وهو ينظر إلى كاتي نظرة جديدة وقال:

«ماكاليستر! إنه يجر ظل الشيء جداً. إذا كنت تعنين أسرة ملوك تربية الماشية التي تراها هنا».

وشعرت ببعض الحزن إذ لم يعجبها الحديث وتمنت لو أنها لم تستجب لسؤاله أو لو أنها لم تقل له الحقيقة. ثم سيطرت كاتي على نفسها فلم يبد سين بكلامه أنه يشير إلى شخص معين، وشعرت أنها عادت لحالتها الطبيعية وعادت تقول لتحسم الأمر:

«أراد أبي أن يحصل على أحسن خدمة ممكنة».

فضحك سين وهو يهز رأسه ليوافق على كلامها

«لقد حصل عليها فعلاً. قياساً على ما أسمعه عن ماكاليستر»

وتطلعت كاتي في ساعتها وقالت:

«كم الساعة الآن؟ إن كاتي ستتوقع عودتي لرؤيتها»

فنظر سين إلى ذراعه العارية ثم إلى الساعة الملونة فوق باب المطعم وقال:

«الرابعة إلا ربعاً»

فنظرت كاتي إلى الساعة بدهشة إذ لم تتصور أن تستغرق الرحلة البحرية كل هذا الوقت. فقد اعتادت أن تعود من الشاطئ كل يوم عند الظهر

وشعرت حينئذ أن «كاتي» ستقلق عليها فالتفتت إلى «سين» وقالت:

«هل يضايقك إذا انصرفنا الآن؟ إذ لم أقدر أن الوقت متأخر».

ونهضت «كاتي» واقفة لتنفذ كلامها.

«كلا، لا يضايقني أن تنصرفي».

وقام «سين» من مقعده ووضع يده في جيبه ليدفع الحساب.

لقد جابا مسافة طويلة بمحاذاة الشاطئ، من المكان الذي كانا فيه. وكانت الشمس فوقهما تسكب حرارتها بلا رحمة. وودت «كاتي» لو أمكنها الإسراع لكن «سين» اضطر إلى استخدام العكاز ليساعد قدمه اليمنى، على مسايرة الإسراع وحده. وأخيراً رأت مجموعة الصخور بجانب أحراش النخيل حيث تركت ملابسها، وأوقف «سين» المركب على مسافة قريبة من الشاطئ.

وشكرته «كاتي» بحرارة على نزهة المركب والغداء، رغم رغبتها في الإسراع بالعودة فقالت:

«لقد استمتعت حقاً بالنزهة البحرية».

ثم خلعت سترته وسلمتها له وهي تقول:

«كما استمتعت أيضاً بطعام الغداء».

وحدق «سين» بعينيه الزرقاوين على وجهها بإعجاب وهو يقول:

«أريد أن أراك ثانية يا «كاتي»».

كانت حقاً نبرة جميلة لم تتوقع أن تسمعها منه لكن «كاتي» لم تكن تود تكرارها لذا قالت رداً عليه:

«لا أدري كم ستطول إقامتي هنا».

وعاد يقول وكله أمل:

«سأراك تسبحين هنا ثانية، وحينئذ سنجد مزيداً من الوقت ما رأيك؟»

فوافقت وهي خائفة وقالت:

«لا بأس، والآن يجب أن أنصرف، ولا بد سأراك قريباً يا «سين»».

وساعدته «كاتي» في دفع المركب من فوق الرمال ووقفت برهة على الشاطئ تلوح له مودعة قبل أن تسرع إلى المكان الذي تركت فيه أمتعتها، ولكن عندما وصلت إلى هناك لم تجد شيئاً ولم تصدق «كاتي» عينيها، لكنها حاولت وتذكرت أنها غابت عنه مدة طويلة بحيث قد يكون أحد المارة قد سرقها. لذا بدأت تسير في طريق العودة إلى الكابينة وكلها أسف وألم لسرقة أمتعتها وأخذت تلوم نفسها لتركها إياها إغراءً لأي شخص من رواد الشاطئ.

وعندما اقتربت «كاتي» من أحراش النخيل سمعت قرقعة الأغصان الجافة ووقع أقدام على الأعشاب والصخور، نظرت في الظلال التي حولها ثم تسمرت في مكانها فجأة، بينما خرج من الأحراش شخص طويل نحيل، وشعرت «كاتي» كأن هزة كهربائية سرت في جسدها بينما ارتفعت يدها إلى صدرها لتوقف ضربات قلبها المضطربة الخائفة.

١٤ ـ قلق فوق الحصى

«هل كنت تبحثين عن هذه الأشياء؟»

ونظرت إليها عينان رماديتان باردتان مثل جبال الثلج بينما مد فليت يده وهي تحمل أمتعة الشاطئ المفقودة. إذ لم يكن طيفاً بل كان حقيقة واقعة وهو يقف أمامها.

وقالت وقد احتبست أنفاسها وحاولت أن تجمع أفكارها المشتتة وتسيطر على صوتها المتهدج:

«كيف جئت إلى هنا؟ وماذا تفعل هنا؟»

رد في غضب:

«أحاول تتبع تحركات الفتيات اللواتي لا يشعرن بالمسؤولية.»

شعرت كايتي بالحرج والعرق يتصبب منها وهو يجول بنظره عليها حتى لباس البحر ذي القطعتين، والتي بدت البحر الذهبي اللون وهو يقول لها بلهجة آمرة:

«ارتدي هذه.»

فارتدته وصعدت طرفيه إليها ولم يعد جلدها يحترق تحت وطأة نظراته. إلا أنه ظل ينظر في عينيها حتى اضطرت أن تغلقهما لتحميها من نظرته الثاقبة.

وابتعدت قائلة وهي تتركه وتتجه نحو الكابين:

«يجدر بي أن أعود للكابين إذ ستقلق كايتي بيسي.»

«تقلق!»

ورفع فليت الشاطئة التي بينها قبل أن تبدأ كايتي في الصراع من موقفها وأمسك بكتفيها وهزها بعنف بدون أن يأبه بنظرة الخوف التي بدت في عينيها.

«أيتها الغبية، ألا تظنين أنني جئت إلى هنا إذ كايتي تكاد تجن من القلق؟ وإنك توليني أنا... دعني.»

قالتها كايتي وهي تلهث وأسنانها تصطك من الخوف، رغم إثارة مشاعرها واستجابتها للمسه.

وزاد من هزها لكنه استوقفها في قبضة يده وظل ينظر إليها وود أن أفعل بك أكثر من ذلك. فكلما تذكرت ما سببته لكايتي، وددت لو خنقتك بيدي.

وحاولت كايتي أن تبتعد عنه لكنه جذبها بشدة وقربها منه وبرزت الشاطئة على كتفيها إذ زادت محاولاتها الانفلات منه. ومع ذلك كانت تقاوم رغبتها في الارتماء بين ذراعيه. ورفع وجهها إلى وجهه وأسقط الرغبة التي تكن في نفسه على إثارتها فيها. فكل ما تمنته هو أن تلف ذراعيها حوله بحيث يحتضنها إليه ولا يتركها تفلت منه. وابتلعت ريقها لتسيطر على مشاعرها وترغم نفسها على الحاجة لطلقها وليس لقبلها.

واعترفت كايتي بالواقع وقالت:

«أعرف أنني تأخرت، لكن لم يكن الأمر بيدنا فقد بدأ المد، ولم تعد هناك نسمة كافية لتحريك الشراع. لذا اضطر ديرين إلى استخدام المجاديف معظم الوقت. لذا جعلنا نقضي وقتاً طويلاً في العودة.»

«هل قلق حقاً؟» قالتها «يا له من شهم!»

فقلنا التليف بالسهولة، وبنظرته الهيئة تسبب لها مزيجاً من الألم وإنه سبب وجهه بدا قاتمة كخطر الزلزال.

وبالرغم منها بعضها بدا امتدت يدها وصفعته على خده، وتم تنبيهها لسعة بعضها

بما فعلت. لكن الذي نبهها هو العلامة الحمراء التي تركتها على خد «فلينت». وكان رد فعله بنفس السرعة التي تصرفت هي بها. فقبل أن تقاوم وضع يديه وراء ظهرها وفي الوقت نفسه رفعها وحملها إلى جذع شجرة ملقى على الأرض. وبلا عناء وضعها على ركبتيه بدون أن يبالي بركل قدميها، وأخذ يضربها ضربات سريعة. ولم يأبه بصياحها الذي يدل على الألم والغضب في آن واحد. ولم تمنع «كاتي» نفسها من تدليك الجزء الذي ضربه من جسمها وهي تنظر إليه بغضب.

ووقف «فلينت» أمامها ويداه على خصره وقال لها بلهجة المتحدي:

«أتريدين أن أعيد ذلك مرة أخرى؟ فإذا أردت يسرني أن ألبي طلبك مرة أخرى»

«إنني أكرهك»

وكان صوتها هادئاً بصورة لم تكن تتوقعها. وقال يتهكم:

«هل من المفروض أن أخشى ذلك؟»

«لا يهمني»

ونظرت إليه بعينيها الناعستين

«لقد تعبت من معاملتك لي دائماً كطفلة. فإنني في الحادية والعشرين وكل ما أريده أن تظل بعيداً عن حياتي»

لكن لم يكن في وسعها أن تطلب منه أن يكون بعيداً عن قلبها

«إنني أنتظر اليوم الذي أعطي فيه يدي منه. فلا تشغلي بالك على ذلك. أما الآن فكل ما أريده هو أن أوصلك بسلام إلى «كاتي»»

ومد «فلينت» يده وأمسك بمعصمها وسحبها وراءه بين الأشجار حيث كانت سيارته تلمع من خلال أوراق الشجر

ودفعها إلى المقعد الأمامي بأصابعها وراءها ثم ركب في مقعد القيادة ونظر إليها وكأنه يتحداها أن تهرب منه. وجلست «كاتي» معتدلة وهي ممسكة

على الباب وتعمدت أن تظل نظراتها في خارج السيارة، ولم تستطع تجاهل الألم الذي سببه لها ضربه إياها خاصة وأن وهج الشمس جعل مقعد السيارة شديد السخونة. ووضع «فلينت» المفتاح في السيارة لكنه انتظر قبل أن يدير المحرك. وشعرت بعينيه تتجهان نحوها لكنها رفضت أن تنظر إليه. وبدأ «فلينت» في الكلام فقال بجدية:

«أريدك يا «كاتي» أن تعديني بشيء»

فنظرت إليه بعينيها المتحديتين وقالت:

«ألا تكل أبداً من إصدار أوامرك للناس؟»

«أريدك أن تعديني بألا تهربي هكذا مرة أخرى بدون أن تخبري «كاتي» بمكان وجودك»

وتجاهل «فلينت» اعتراضاتها ولكنه تعمد أن يؤكد كلامه ويركز عليه فردت عليه بمرارة وهي تقول:

«لماذا لا تجعل طلبك في صيغة الأمر؟»

وابتسمت ابتسامة مريرة تشبه النظرة التي في عينيه واستطردت تقول:

«هذا على أي حال أيها الرئيس الكبير»

«أعديني» «فلينت»

«يمكننا أن نتبادل الاهانات طوال اليوم»

وكان يحاول السيطرة على غضبه بينما كانت «كاتي» تتعمد أن تثيره.

«كل ما أريده منك هو وعدك بألا تفعلي «كاتي» ما فعلته اليوم. لقد تسببت في قلقها من الساعة التاسعة صباحاً لذا فإني أطلب هذا الطلب من أجلها وليس من أجلي»

وظهرت تقطيبة على جبينها وعادت تقول:

«ولماذا تهتم هي بي في الصباح؟ بما أني لا أغيب من السابعة حتى الظهر إذ أني أعمل دائماً في الصباح»

«لأني تكلمت صباح اليوم وأردت التحدث إليك. أما سبب رغبتي في الكلام معك فلا أهمية له الآن. لما ذهبت إلى الشاطئ، بحثت عنك ولم أجد لك أثراً غير أمتعتك الملقاة على الرمل. فالافتراض الطبيعي في هذه الحالة هو أنك قد نزلت إلى الماء للسباحة. ولما لم ترك في البحيرة، خشيت أن تكوني قد غرقت. وعندما لم ترجع كاثي من الصيد الذي يبالغ في [illegible]، فبدلاً من طلب النجدة لاتخذنا البحث عنك في قاع البحيرة. فلطيبي وأنقذتنا جميعاً من الحرج إذ كنت قضيت الصباح في صحبة صديقك الاسكندنافي».

ردت كاثي بعنف وقد أزعجها تكرار البحث عنها من التاسعة صباحاً:

«إنه ليس صديقي».

قد قالت بحدة:

«لا يهمني من يكون، سواء أكان قريبك أو صديقك، أو عشيقك».

ولم يعطها الفرصة كي [illegible] أدار مفتاح السيارة وارتفع صوت المحرك حتى غطى ما قد تقوله من كلمات. [illegible] على شفتيها بسرعة [illegible] حتى [illegible] طعم الدم في فمها [illegible] ما كانت تفعله. وكانت تفضل لو ظلت كاثي وحدها [illegible] من [illegible] من هذا الاستجواب الذي يجريه معها. قالت: «الآن».

وكانت كاثي واقفة في الشرفة عند عودتها ولاحظت [illegible] القائم بين الاثنين. ولو لم تكن كاثي منغمسة في مشاعر مشكلتها، للاحظت أنه لا يريد أن [illegible] على وجه كاثي. [illegible] إليها [illegible] وقالت:

«هل أنت بخير يا كاثي؟ لقد أفقدتنا أين كنت؟»

«ذهبت في نزهة بحرية ولم أحس بمرور الوقت».

قالت كاثي ذلك قبل أن يعلق [illegible] بكلمة تهكم كان ينويها، كما شعرت كاثي أن يعلق بما [illegible] قالت [illegible] وقال:

«لا بد كانت مشغولة عن كل معهود

من كان معها».

ردت كاثي [illegible] ونظرت إلى كاثي [illegible] أن تسمع شرحاً. وردت كاثي على أسئلتها وقالت مرتجفة وهي تشعر بعيني [illegible] الثاقبتين تخترقان جسمها:

«قابلت ذلك الشاب الذي يعمل في أحد المصايف القريبة هنا، ودعاني لنزهة في قاربه [illegible]».

[illegible] أنها [illegible] مخرجة [illegible] قالت [illegible] حتى [illegible] على [illegible] الفاتن على أنفه.

[illegible] أن [illegible] من كاثي أمر [illegible] بأن [illegible] نظرت كاثي إلى كاثي [illegible] قبل أن تخرج من الشرفة وصاحت كاثي [illegible] إلى [illegible] وهي تشعر [illegible] من [illegible] وجهه الذي [illegible] الشمس، وسألها بحدة:

«ماذا تعنين بعبارة قابلت ذلك الشاب؟»

«أعني [illegible] ما قلته تماماً».

وأدارت له ظهرها واستندت إلى حافة الشرفة الخشبية [illegible] حتى ابيضت [illegible] قالت [illegible]:

«هو [illegible]».

[illegible] من [illegible] أنه يقترب منها وأنه [illegible] على [illegible] الشرفة [illegible] وأحست [illegible] أن [illegible] كأن الأمر لا يهمها [illegible] اليوم.

«[illegible] قابلت غريباً اليوم وذهبت معه في نزهة بحرية؟»

[illegible] الذي [illegible] في صوته. وشعرت كاثي كأن يداً أطبقت على [illegible] حتى كانت تصرخ من الألم.

«[illegible] غريباً [illegible] لا يمكن أن تكوني بهذه السذاجة

ردت عليه «كايتي» بحدة قائلة:

«لا تؤاخذني إلى هذا الحد في القصة، فهي ليست مرتبة.

لقد كان اعتقاده لها لا يحتمل، إذ أنه لن يصدق أبداً رواية ما حدث ذلك الصباح.»

«كان «بين» شاباً مهذباً فلم يخطر على باله غير مصاحبتي له في نزهة في الزورق».

فأثارها قليلاً «...» قائلاً:

«لا بد أنه فكر في النزهة البحرية عندما رآك في هذه الملابس، ولا بد أنه فكر في أشياء أخرى كذلك».

فثارت «كايتي» وانبعث الشرر من عينيها الشديدتين وهي تنظر إلى عينيه بتحد وتقول:

«ما الخبر؟ هل تشعر بأنك لم تعاملني عندما سمحت لك بالوصول...»

وشعرت [illegible]

بعد أن كان [illegible]

جامحة في جسدها وكانت ترى الرغبة في عينيه وهي تتجاوب مع رغبتها ولكنه جذبها نحوه عندما فتح الباب المؤدي من المنزل إلى الشرفة.

«يا إلهي! لقد أخطأت الموعد، سأحضر بعض البسكويت»

قالتها «كايتي» ببساطة وهي تنظر إلى الاثنين الواقفين أمامها واستدارت بسرعة لتدخل المنزل.

وقال لها «...» وهو يتبع «كايتي» وهي تحمل الطاولة ذات الشمسية

«لا عليك.. فلم تخطئي شيئاً»

فابتسمت «كايتي» وقالت:

«ولكنها تعطلني. لقد فقدت ...»

والتفتت «كايتي» إليه بعد قليل. لقد كانت في حاجة إلى فسحة من الوقت لتستعيد لنفسها السيطرة على نفسها وعلى مشاعرها. وكان الصمت حول المائدة

رهيباً ومطلقاً وكئيباً بحيث يمكن قطعه بسكين. وكانت يدها ترتجف بشدة بحيث لم تستطع أن تمسك بالكوب، لذا جلست ساكنة في مقعدها، وعندما أراح «...» مقعده رفعت إليه عينيها الكئيبتين تترقرق فيهما الدموع. لقد كانت مريضة النظرة المرسومة على وجهه، ولكنها عاطفة كانت متأكدة أن عينيه تستعطفانها. لذا [illegible] إلى [illegible] وأخيراً قال:

«يجب أن أعود إلى المزرعة»

وأضاف قائلاً:

«هل تستطيعين [illegible] من الأدب الذي يسمح لك يا «كايتي» بالتفكير معي لتوصيل [illegible]»

ونظرت [illegible] لم [illegible] أن تقف على ساقيها [illegible]

[illegible]

[illegible]

«كايتي» ولم [illegible] وشعرت من التعبير الغاضب المرتسم على وجهه أن لا فائدة [illegible] على كتفيها

وعندما وصلا إلى السيارة قالت «كايتي»:

«آسفة أنك قمت بهذه الرحلة بلا طائل. [illegible] رحلة لها [illegible] بالنسبة لك.»

«لا ...» ونظرته [illegible] حول وجهها الصارم

«حتى إذا [illegible] فلا بد أنك ستعودين لتلاحقيني في منامي وأفكاري».

وفتح باب السيارة ودخل لكنه لم ينظر إليها ببرود وقال:

«أعتقد أنه لا فائدة من التراجع ألا تقابلي ذلك الفتى مرة أخرى».

ردت «كايتي» بالإيجاب مع أنها لم تكن لديها النية أن تراه في مقابلة [illegible] ثانية.

وأخذ «فليت» يراقب وجهها وقد حانت منه ابتسامة وقال:

«لا أظن أنك تعودين حقائبك ثانية. لكنك لا تودين أن ترغميني بوعدك لي بذلك»

«كيف تعلم أنني لم أعد له موعداً قراباً هذه الليلة؟»

فارتجف فمه بابتسامة تهكمية ولمعت عيناه وهو يقول:

«ربما.. لكني أشعر أنك لن تفعلي ذلك»

وضايقتها تلك الملاحظة ورأت أنه المرجح أنها كانت له وجهة:

«لقد أوصلتك إلى السيارة يا سيد «ماكاليستر» وحان موعد رحيلك»

فسخر «فليت» منها وقال:

«وأنك ما زلت تلك الزهرة الشائكة الرزينة التي تحاول أن تغمد أشواكها في كل من يحاول الاقتراب منها. ألست كذلك يا «كابي»؟»

ثم أدار محرك السيارة قبل أن تقول له:

«أشفق على الأشخاص الذين يضايقونني فقط»

واستدارت متجهة نحو الكوخ وصوت عجلات السيارة على الحصى يتبعها وقد اختلط بصوت ضحكات سائقها المكبوتة.

١٥ - حرباء أم وردة شائكة؟

«مرحبا عمي آبي» «لوكاس ماكاليستر»

فالتفتت «كابي» وقد لفت ذراعيها بحنان حول الرجل الطويل الذي يشبه «فليت» شبهاً كبيراً.

ووجدت «كابي» صعوبة في النظر إلى العينين الرماديتين اللتين تشبهان عيني «فليت» عندما يكون في حالة دعابة. كما كانت الابتسامة شبيه ابتسامة «فليت» شبهاً كبيراً خاصة وهو يرفع جانباً من فمه ليصبح أعلى من الجانب الآخر إلا أن شعر أبيه كان أكثف من شعره بحيث يكاد يكون أسود عدا شعيرات رمادية عند الفك تزيده وقاراً. وهو لم يزل رجلاً مهيباً جذاباً رغم سنوات عمره المتقدمة.

«كيف حالك يا «كابي» الصغيرة؟»

وصافحها الأب مصافحاً يداها بحرارة وقد بدت عيون الرجل شيئاً من شعورها بالاضطراب. ونظرت إلى عينيه في تردد وهي تستمتع بنظراتهما الدافئة

«كم أسر بلقائك والتعرف بك»

ونظر «لوكاس ماكاليستر» بحب وحنان إلى السيدة الرقيقة ذات الشعر الأحمر الواقفة بجواره. ونظرت العينان الخضراوان إلى «كابي» مرحبة بها، وقد زاد من جمال الابتسامة الخطوط الضاحكة المرتسمة حول عينيها. فلم يسع «كابي» إلا أن تبادلها الابتسام.

وكانت ابتسامة الأم صادقة بددت شيئاً من الرهبة التي كانت تشعر بها كاثي.

- سمعنا الكثير عنك يا كاثي حتى أصبحت وكأنك فرد من الأسرة.

فردت كاثي قائلة:

- هذا كرم كبير منك يا سيدة ماكاليستر.

وكانت تحس في الأيام القليلة الماضية أن تيد والدي فليشت جاي الطيبين متحابين حتى لا يجد إليهما الحب الذي تشعر به نحو فليشت. والآن وقد التقيتهما وجدت أن وجهي الزوجة الزوجة بها قد بددت ذلك الأمل القديم فقد كانا يتبادلان بعضاً من الحب شيئاً منهما.

وقالت والدة فليشت وهي تحسم أن تناديها كاثي باسمها

ماذا يا اسم ميج. فلنا أسرة تهتم بالرسميات.

وقالت كاثي وهي تنظر إلى كاثي نظرة إعجاب:

والآن أبي الآن إلى الشرفة وستحضر أنا و كاثي عصير الليمون والأكواب.

وأرادت أن تطمئن أمها بأنها لا تحتاج لمساعدتها. ثم اتجه الرجلان إلى الشرفة تاركين كاثي مع كاثي. والتفتت كاثي إليها قائلة:

- قد أكون متحيزة، لكني أعتقد أن والدي من أحسن الآباء والأمهات.

فقالت كاثي وهي تنظر إليها وقد تأكدت حبها لعطفها بأسرتها التي بدأت تشعر بالوحشة نحوها:

- يبدو عليهما الشباب، لذا فلا بد أنك تستمتعين بأبويك.

فتنهدت كاثي وأسعت عيناها وهي تتبع نظرة كاثي وقالت:

- يستطيع أبي أن يوقع أي امرأة في غرامه. فهل من المستغرب أني - برغم الرغبة من هذا الطراز لم أعجب بأحد من الرجال الذين قابلتهم حتى الآن؟ وبعد

أني سأظل طوال حياتي عانساً.

ضحكت كاثي وهي تنظر إلى الفتاة الجذابة ذات الشعر الأسود وقالت:

- أشك في ذلك.

لكن ذلك التعليق لم يكن مضحكاً من وجهة نظر كاثي فعندما كانت تفكر في مستقبلها وتقارن بين من قد يصادفها من الرجال وبين فليشت كانت تشعر بأنها إحدى النساء اللواتي لا يحببن إلا مرة واحدة في حياتهن، وكان فليشت بالنسبة لها هو ذلك الحب الوحيد. إلا أن القدر لم يسمح لها بأن تحظى بحبه، وهي حقيقة لم تجعل المستقبل يبشر بمصير سعيد.

وأمسكت كاثي بصينية الأكواب التي تركتها لها كاثي واتجهت بها نحو الشرفة، وعندما مرت أمام المرآة الموجودة في غرفة الجلوس تعجبت من الصورة التي رأتها منعكسة في المرآة. فقد كان الفستان الذي ترتديه أحمر اللون ينعكس وهجاً وردياً على وجنتيها ولم يبد في نظرة عينيها الخضراوين إلا قليل من العذاب الذي كانت تعانيه. أما فيما عدا ذلك فقد بدت كأي فتاة طبيعية تتمتع بصحة جيدة مثل باقي البنات. وسمعت ركاس ماكاليستر عن صحة أبيها عندما دخلت الشرفة ووضعت الصينية على الطاولة حيث كان يجلس بجانبها والده أحسن يتكلم ويعرف الطريق إلى المزرعة.

فعلق الأب على عبارتها قائلاً:

- هذه علامة طيبة من صاحب مزرعة.

غير أن ميج قالت من واقع تجاربها، وهي تحول نظرها بين زوجها وبين كاثي:

- هذا يعني فقط ضرورة البدء في الزواج أسرع أسرع.

فضحكت كاثي وقالت:

- لكن والدتي نفس الرأي. ولكن مثل أبي. فكلانا يحب الرجوع دائماً إلى أرضيتنا

العادية وبمكانتها الطبيعية»

وهي أمنية ملحة لدى «كاثي» «ألا تصبح أبداً».

«لا شك أن أباك سيحتاج إلى بعض الوقت ليعود إلى نشاطه المعتاد وحركته الطبيعية، فيجب أن يتقبل فكرة إدارة المزرعة من خلفه لفترة من الوقت»

ولمعت العينان الرماديتان وهو ينظر إليها واستطرد يقول:

«غير أن أبي قد أخبرني بإصراره على إدارة المزرعة بنفسه.

وإن عمل المرأة الآن لم يعد قاصراً على إدارة المنزل فقط»

وكانت الجدية البادية في صوتها موجهة نحو «فليت» أكثر منها نحو والده.

«ويبدو ذلك في مسؤولية ضخمة للفتاة بالغة في مثل سنها»

وابتسم «لوكاس» وهو ينظر إلى زوجته وعاد يقول:

«إن الفتيات اليافعات يتحملن كثيراً، لكن لا ضرر من وجود رجل يمكن الاعتماد عليه عندما يظهر ما يستدعي ذلك»

ثم غمز بعينيه «لكاثي» وقال:

«وحتى إذا لم يظهر ما يستدعي ذلك»

فاصطبغت وجنتا «كاثي» بحمرة الخجل عندما شعرت أنه يقربها بشخص «فليت». ثم سألها:

«كيف الحال في المزرعة؟»

فقالت في تردد:

«لا أدري»

فمال برأسه وهو يقول لها:

«فهمت أن «فليت» جاء إلى هنا هذا الأسبوع لمقابلتك، واعتقدت أن الزيارة لمشاورتك في بعض الشؤون الزراعية. لكن ربما كان الكلام في مسألة شخصية»

فابتسمت «كاثي» قائلة:

«كانت الزيارة غريبة هي التي أتت به إلى هنا، وعلاوة على ذلك فهو خائف بالفعل جميع شؤون المزرعة مع والدي»

«هذا ما توقعته فلا تغضبي يا «كاثي»، إذ لا يمكنني أن أتصور أبي وهو يقدم أفكاره لسيدة، حتى ولو كانت متحررة»

وتداركت «ميغ ماكاليستر» الموضوع بسهولة وهي تحاول أن تحول تفكير «كاثي» عن الصحة الأصلية من «فليت» فقالت:

«حدثنا «فليت» كثيراً عن أسرته حتى كنا نتوق إلى التعرف بكم»

والآن وقد تخلت «كاثي» عن الصدمة التي صادفتها بمقابلة شخص مثل «فليت» تماماً، اغتنمت الفرصة للانتباه إلى أمه لدراستها. لقد كان شعرها الأحمر أشبه بقليل من شعره، بالرغم من الشعيرات الرمادية التي تتخلله وتضفي عليه جمالاً ورقة. وعندما تبتسم، كما كانت تفعل الآن، كانت تظهر في وجنتيها غمازتان جميلتان تعيدان شبابها، وقالت «ميغ»:

«هل تعلمين أن «فليت» لم يقرر أن يقبل ضيافتكم إلا بعد أن قابل والدك؟ فليت يحترمه احتراماً كبيراً»

فابتسمت «كاثي» قائلة:

«أعرف أن أبي معجب إعجاباً كبيراً بـ«فليت» ويقدره. فبمجرد شعوره بأنه عثر على شخص في مثل كفاءته وخبرته جعل من السهل عليه أن يترك فكرة بقائه في المستشفى. كما طمأن والدتي أيضاً وجود رجل يتولى إدارة المزرعة»

وسمعت «كاثي» صوتاً من خلفها يقول:

«إن لك صفة نادرة يا «كاثي»، وهي مدح الانسان من وراء ظهره وتملقه في وجهه»

فالتفتت بوجهها عند سماعها ذلك الصوت، وكادت أن تفقد عصير الليمون أن يقع من يديها عندما استدارت في مقعدها لتواجهه. فقد كان «فليت» يقف وراءها.

وهو ينظر إليها بابتسامة معجبة. وأرادت «كاتي» أن تجري وتختبئ، لكنها كانت متجمدة نحوه وقد تملكتها نظراته المتهكمة الربيطة وملاحقته لها.

«أحضرت «مارك» معي، لكنه ذهب ليتفقد الشاطئ، فهو مغرم بأنواع الأسماك الموجودة في البحيرة»

ثم حول نظره نحو والديه وقال:

«هل أنتما مستعدان لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هنا على شاطئ البحيرة؟»

توقف «لوكاس» وصافح ابنه وهو يقول:

«أعتقد أن أصيد أكبر كمية من السمك. لقد فاجأتنا فلم نتوقع أن نراك هنا»

والتفت الأب إلى «كاتي» التي كانت ما زالت تحت وقع المفاجأة، وألقى عليها نظرة كلها تعاطف وشفقة، وتابع «فليب» نظرة أبيه، وقال وهو يلتفت إلى أمه:

«لا تقلقي عليها، أبي دائماً معجب بزوجتي. لقد شعرت خلال الثلاثين ميلاً الأخيرة من رحلتي أن أذنيّ ترهفان السمع إلى حديث عني، فلا بد أنكم كنتم تتحدثون عني»

فقالت «كاتي» وهي تقدم له كوباً من عصير الليمون وتدفع به إلى مقعد قريب ليجلس عليه:

«يا لك من رجل متغطرس مغرور»

وقالت «ميج» وهي تحيط «كاتي» بابتسامتها التي لم تقو على الرد عليها بابتسامة مثلها

«كنا نتكلم عنك بطريقة غير مباشرة، كنا نحاول التعرف على «كاتي»، فإذا ذكرنا اسمك فقد كان ذلك بمحض الصدفة»

وسأله «لوكاس» وهو ينقل نظره إلى ابنه:

«أخبرني لماذا لم تخبرنا يا «فليب» بأن «كاتي» فتاة تتحلى بكل هذا الحسن وقد

الزوجية؟ لقد كنت دائماً أدرك مدى إعجابك بنضارة الجمال»

فاصطبغ وجه «كاتي» بلون وردي، ولم تعرف مدى إحراجها لمحاولة هذه الأسرة الطيبة بدور الوسيط في عقد زواج بينها وبين «فليب»، خاصة وقد أخذ «فليب» ينظر باهتمام إلى رد فعلها لكلامهما. لقد أخذت ذلك على أساس أن الأمر لا يتعدى كونه مجرد دعابة. وكان واضحاً أن أحداً لن يهب لنجدتها من الحرج إزاء هذا الموضوع، لكنها لا تنكر بأن شيئاً من الألم الذي تسببه لها مداعباتهم، فقد كان «فليب» دوماً يشعرها بالارتباك.

ونظر «مارك» إلى الشرفة ووجهه يشع بالابتسام وقال:

«أهلاً يا أمي، هذا حقاً مكان رائع وليتني أستطيع قضاء أسبوع هنا، ويمكنك أخذ مكاني في الزورق في أي وقت تشائين»

وقامت «كاتي» للترحيب به وتحييه وهي تقاوم رغبتها في التعلق به، كما لو كان منقذها. لكنه كان أكثر من أن تحييه بتحية حارة، غير أن مجرد الوقوف بجواره قد أعطاها مزيداً من الشجاعة، عندما هم «فليب» بأن يقدم «مارك» إلى والديه، وقال «مارك»:

«سمعت أن صيد السمك رائع هنا»

وأضاف عندما أخبره «فليب» بأن والديه يحبذان هذا العرض:

«لا بد أنهما اصطادا أسماكاً كبيرة. أليس كذلك؟ لقد سمعت أن هناك أشخاصاً يطيرون خصيصاً من تكساس للصيد في هذه البحيرة»

واستجاب «لوكاس» بسرعة إلى فرصة تغيير الموضوع، الأمر الذي كانت «كاتي» ترحب به. فقد كان يعطيها الفرصة لتهدئة قلبها المضطرب، بينما كان «فليب» وأبوه يقصان على «مارك» مغامرات وقصص صيد الأسماك التي كانت تقع في فترة شبابهما. فكان من عوامل متعة «كاتي» وبهجتها أن تراقب ملامحه الصبيانية وحركاته الناعمة التي تحجب عينيه، وشعره البني الذي سبقه

لفح الشمس. أما عندما يتحول نظرها إلى شقيقه فإن الرعشة تنتشر في جسمها وتترك وراءها ناراً تلهبها.

وهكذا وجدت "كاتي" نفسها مسلوبة الإرادة تركز شعورها كله في شخص واحد حتى أنها انتفضت ذعراً وكادت تقفز من مكانها عندما لمست يد ذراعها وقالت لها "كاتي" في هدوء وفي عينيها إشفاق على أختها:

«حان موعد الغداء، هل ترغبين مساعدتي في تجهيزه؟»

فرحبت "كاتي" بالفكرة وهي تتفادى نظرات "فليبت" التي انصبت عليها ولحقت "كاتي" ذراع "كاتي" وهما يدخلان إلى المنزل وقالت:

«آسفة لأني أزعجتك لكن كثيراً ما يكون وجهك شفافاً بحيث ينم عن مشاعرك، ولم أره أن يراك "فليبت" وأنت بهذه الصورة، ولم أتمن أن أكشف أن أصارحه بعواطفه في تصرفات معك»

فشكرتها "كاتي" ممتنة، وهي تعلم مدى شعورها بالخجل إذا حدث ونظر إليها "فليبت" في تلك اللحظة ورأى نظرة الحب التي كانت مرتسمة على وجهها وقالت:

«ليست غلطته أن لا يحبني. فالحب من الأشياء التي تحدث أو لا تحدث»

فقالت "كاتي" بتهكم واضح مؤلم:

«يصاب بعض الناس بالحصبة أيضاً، لكنهم يتخلصون منها بأسرع من ذلك»

وضحكت "كاتي" بحزن وهي تحاول أن تضيف شيئاً من البشاشة إلى الحديث الذي كان ينذر بترقرق الدمع في عينيها:

«يشعر المرء من حديثك كأن انكسار القلب يدوم إلى الأبد»

ولكن "كاتي" نظرت إليها بعين كأنها تتساءل "أليس كذلك؟"

وشعرت "كاتي" ألا طائل من وراء مناقشة الموضوع أكثر من ذلك فظلتا صامتتين وجذلتين وهما تفرغان من الثلاجة علبة السالتوريشات والسلطات

والرقائق المحمرة التي سبق إعدادها ولم تحتاجا إلا إلى رحلات من المطبخ إلى مائدة الشرفة ليصبح كل شيء معداً ولم يبق غير صحن من شرائح البطاطا بالفرن وأدوات المائدة الفضية التي لم تحضراها وانطلقت "كاتي" عندما عرض عليها "مارك" أن يساعدها فلم يسبق له أن اهتم بمساعدة أحد حتى إذا كان ذلك لمصلحة معينة، وزادت دهشتها عندما كانا في المطبخ إذ أخذ "مارك" يتحرك بسرعة وبعصبية كأن شيئاً يقلقه فقالت له مازحة:

«ليس من عادتك أن تشرع بالقيام بأعمال المنزل!»

فحاول أن يتلافى نظراتها وخفض من صوته وهو يقول:

«لقد أردت أن أتحدث إليك، فقد عرض علي السيد "ماكاليستر" أن أذهب معه لصيد السمك ولم أستطع أن أجد فرصة أخرى لأحدثك فيها على انفراد عما جرى»

وقد أدهشتها نبرته التي تدل على السرية، فقالت:

«إنك أكبر من أن تستأذني لتذهب مع السيد "ماكاليستر"»

فقطب جبينه بصورة واضحة وقال:

«ليس هذا ما أعنيه. إنك ستعودين إلى الزوجة بعد أسبوع، وهناك شيء يجب أن تعرفيه، ورأيت من الأفضل أن تعرفيه من أحد أفراد أسرتك لا من شخص غريب»

فقالت "كاتي" إن تشجعه على الشرح بما يريد أن يقوله، ولكن كان واضحاً من صوته الجاد الواضح أن من العسير عليه، ومن المحرج، أن يشرح لها ما يريد قوله، ولم تتخيل أن الموضوع يخص "مارك" ولا شك لا يخص "فليبت" أيضاً.

وأخيراً صرح "مارك" بسرعة بما في نفسه وقد احمر وجهه حرجاً:

«بعد أن رحلت، أخذ "سمعتني" يتقابل كثيراً مع "بريتا فيرلي" في يوم وصلك

خرج معها وذهبا إلى أحد المطاعم وسألت هي تتدلل عليه كعادتها دائماً وتتصرف بطيش. لكن سيسيلي كانت وبدا أنه أعجبها تصرفه اللطيف فكانت ترمي بنفسها في أحضانه وهي تعتذر له عما بدر منها ومن بوحها وهما متلازمان وهناك إشاعات تقول بأنها لن تعود للكتابة.

ونظر مارك إلى شقيقته ليرى وقع الخبر عليها.

لكن الدموع التي ظهرت في عينيها لم تكن كالدموع سيسيلي منها لكن رقة المشاعر الأخوية التي أبداها مارك فجأة نحوها فقد كنت لو طوقته بذراعيها وضمته إلى صدرها لكنها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك واكتفت بأن تركته يظن أن هذه الدموع كانت من أجل سيسيلي.

ـ أشكرك لاهتمامك بهذا النبأ.

وكان صوتها متحشرجاً لكن ابتسامتها كانت صادقة.

ـ أعلم أنك و سيسيلي كنتما سعيدين معاً، وبدا لي أنه من الأفضل لو عرفت قبل أن...

ردت عليه ببساطة دافئة.

ـ نعم أنت محق في ذلك.

ونظرت حولها بسرعة واستقر نظرها على الطبق الكبير الموضوع فوق المائدة فقالت لأخيها

ـ هل تحب سلطة البطاطا هذه، وسأحضر لك بقية الأشياء حالاً.

ـ لكنني لن أنزل هو أنك تفضلين الأدوات الفضية مثلاً أو أي شيء آخر من هذا القبيل. أعني إذا احتجت لبعض الوقت لكي...

فقالت له كاتي لتطمئنه:

ـ سأحضر حالاً يا مارك فأنا جائعة جداً.

وفعلاً شعرت كاتي بأنها بخير حتى أنها ابتسمت لمارك وهو يخرج من

الغرفة. وقالت في نفسها وهي تشكره على الحرص: إنها سعيدة لسيسيلي و بريندا سيسيلي الشخص الأمير. وارتجفت شفتاها وامتلأت عيناها بالدموع. فهذه عواطفه هذه المرة لن يكون موجهاً بالنسبة لها ولن حتى تصدق. لأن بريندا لن تفهم حقيقة علاقتهما. وقالت في نفسها أنها لا تتوقع من أن يكون سيسيلي بديلاً لما في قلبه من حب هائل. وسالت دمعتان على خديها فقد سبق أن عشرها أخوها مارك من قبلت. وكان من المتوقع أن يقول لها الله سوى أن تحزن بدلاً من أن يقدم لها العزاء. ومع ذلك كان وقع الخبر عليها كانتزاع صخرة أخرى من أساس حياتها المتداعي.

ـ هل قال لك مارك أنه سيذهب للصيد مع والديه؟

فاضطربت كاتي وتصرفت قلقت. لكنها لم تستطع أن تواجهه بل قالت:

ـ نعم، قال لي.

ونظر نحوها وهو يقول:

ـ خطر لي أنه ربما تريدين الذهاب لزيارة والدك في المستشفى.

فقالت بصوت متوتر:

ـ كما تريد.

وفجأة شعرت بأن أعصابها وعواطفها تهدأ بحيث لم تقو على تمالكها لذا شغلت نفسها بالقطعة الموضوعة على الرف وقالت:

ـ سأخرج بعد أن أجمع هذه القطع.

وأمسكت أصابعه بذراعها وجذب وجهها نحوه وحدقت كاتي كل كراهيتها لنظرة تنعم في عينيه ولم يكن هناك بد من رؤية دموعها السائلة على خديها وقال لها بلا اعتذار

ـ لقد كنت أسترق السمع، ولم أتصور أن خيانة سيسيلي يمكن لها أن تؤثر فيك بهذه الصورة.

فنفضت يده من على كتفها ثم مسحت آثار الدموع من على وجهها وقالت:

«معذرة أستاذ كارتر لا تعرفها عني وعن مشاعري يا سيد ماكاليستر».

فظهر الغضب في كلماته وهو يقول:

«كلما ظننت أني بدأت أفهمك تتغيرين كما تغير الرياح اتجاهه.

«كنت أولاً زوجة شاكة والآن أنا مريضة.

وظهر الحنق في عيني كاثي وهي تتابع كلامها وتقول له:

«وأنت أيضاً لا تستقر على رأي واحد».

١٦ ـ انتصار الحب

«هل بحثت هذا الموضوع مع فليت؟»

ألقت لوسيل فيلدر هذا السؤال وعيناها الزرقاوان ترقبان وجه ابنتها القلق، وصاحت كاثي ثائرة:

«مع فليت؟ وما شأنه بذلك؟ ليس هذا من شأنه. إذا لم أستطع الإقامة مع العمة جين فإني سأقيم في فندق، لكني لن أعود إلى منزله».

فبعد الرحلة الطويلة بالسيارة مع فلينت من أوبالالا حتى المستشفى في سكوتسبلاف وصلت كاثي إلى حالة لم تعد تحتملها ولم يعد يهمها إذا كان ذراعها يعتبر جزءاً منها أو نوعاً من الخشب، إلا أنها كانت واثقة من أنها لا تستطيع أن تكرر نفس الرحلة في العودة إلى كارين كاثي مع فليت مرة أخرى. فالألم قربها منه وتحمل أحاديثه المتقطعة كان ضرباً من العذاب، وكان هو السبب في إسراع كاثي بالدفاع ووالدتها بالسير معها إلى استراحة المستشفى حيث عرضت لها رغبتها وطلبت منها موافقتها عليها.

ووضعت لوسيل ذراعها حول كتفي كاثي بحنان وهي تقول لها:

«ليست المسألة يا عزيزتي هي في وجود سكن لك عند العمة جين أم لا، فهي بالتأكيد سترحب بك كما تفعل دائماً. أما سؤالي عن بحثك الموضوع مع فليت فلم يكن سؤالاً حكيماً، إذ هو غير معقول تحت الظروف التي أنت فيها، أليس كذلك؟»

وانزعج وجه والدتها بعض الشيء، و«كاسي» تنظر إليها. فهل كانت تعرف شعورها نحوه؟ وهل يحتمل أنها استنتجت ما يدور بخلدها؟

«إني أتوجع من الألم أنا. إلا أنني لم أشعر بأن ابنتي قد أحبت! شيء...»

وبحثت في حقيبة يدها وأخرجت مجموعة من المفاتيح وقالت:

«هذه مفاتيح سيارة العمة «جي» الموجودة في الموقف. وسأجد عوناً أتصل بـ«فليت» وو... عن عيادة الطبيب. وسنتشكر لها بعده»

فأخذت «كاسي» أمها بقوة، وأمسكت في يدها المفاتيح التي ستطلق سراحها ومرحها، وهمست لأنها بحرارة قائلة:

«أشكرك»

وأطلقت شقيقتها بقوة وهي تنتزع نفسها من بين أحضان أمها، وابتسمت لها ابتسامة الغفران بخجل قبل أن تسرع عبر الممر في طريقها إلى باب الخروج من المستشفى. وكان الموقف مليئاً بسيارات زوار نهاية الأسبوع، ونظرت «كاسي» إلى صفوف السيارات المتراصة بحثاً عن السيارة الصفراء الكبيرة الخاصة بعمتها، وانتابها الخوف عندما أخفقت في العثور عليها. فلا بد وأن تكون موجودة... بل يجب أن تكون موجودة.

وقبل أن تدرك ما يحدث، كانت يدان تمسكان بكتفيها بعنف وتدفعانها نحو السيارة الصفراء الكبيرة التي جاءت بها إلى المستشفى. لكنها لمحت السيارة الصفراء الكبيرة بعد فوات الأوان في صف السيارات المجاورة لها. ولم يضيع «فليت» وقتاً في الأدب والمجاملات بل دفع بـ«كاسي» إلى سيارته ليرغمها على الجلوس في المقعد المجاور لمقعد القيادة. لكنها أمسكت بالباب الأمر الذي جعله... عن أن أمسك بيدها وهو يقول:

«لا تعصيني ولهذه غير مغلق»

وأدار محرك السيارة بيده الأخرى وتراجع بها إلى الوراء.

وصاحت «كاسي» وهي تلوي معصميها وتحاول أن تتحرر بعنف من قبضته حتى تستطيع الهرب إلى السيارة الصفراء.

وألقى عليها «فليت» نظرة القلق أن يحاول اتباعه، وهو ما انسحب إلى الخط من أمامه.

«لم أكن أتصور أنك من هؤلاء النساء الضعيفات اللواتي يجرين ويتركن شغفهن يحرج مشاعرهن نحو أن شيئاً يقع...»

«كاسي» بصعوبة ولم يتم جملته.

«إنك لم تراني»

ولم تحاول «كاسي» أن تخفي الألم المتوزع بصوتها وهي تطلقه بوضوح وقوة رغم نظرة «فليت» الموجهة لها.

«إنني لن أتحمل بالقفز من السيارة وهي تسير بهذه السرعة»

تهدأ «فليت» من سرعته وترك يدها حرة وبدأ في طريق يقطعه الحصى وتركه الأذينة ورأيتها، وأخيراً أوقف «فليت» السيارة على جانب الطريق، ونظرت «كاسي» نظرها إلى الصخور الرملية البعيدة وهي تقاوم جاذبيته القوية التي يحيطها نحوها من خلال عينيه ويجبرها بها أن تنظر إليه.

وكان صوته خافتاً مثيراً وهو يقول:

«أعلم أن أخبار ... كانت صدمة لك. لكن الفرصة ستزول يا «كاسي» فما هنا إلا إعطاء نفسك الوقت الكافي لتنسيانه»

قالت «كاسي» وهي ترفع يديها إلى أذنيها وتقول:

«كفى! ... ووفر على أقوالك التافهة»

ومد إليها يده بلمسة وجسمها يرتعد أثر ... إليها. فلم يكن مطلوباً ألا تستجيب لهجته المتعاطفة وهو يقول:

«هلا تحررين بجوار الباب هكذا؟ إنني أحاول أن أساعدك»

ورفع إحدى يديه المشدودتين وربت على إحدى يديها، ولكن ليس بالقوة التي
استخدمها معها من قبل، بل كانت في هذه المرة لمسة رقيقة كما لو كان إنساناً
يصطاد عصفوراً يعاني من الخوف، ويجد من السهل الافلات من قبضته. لكن
كاتي استبقت يدها في يده، وعاد يقول برفق:
«ستقابلين غيري وستحبينه كما أحببته».
وعندئذ التفتت لتواجه حبيبه وحدقت في وجه الرجل الذي أحبته من قبلها،
وانطلقت آهة من شفتيها وهي تقول:
«كلا.. كلا.. لن أحب بعد الآن».
وتصورها بلهيب نظراته قبل أن يحاول ... فليب ... تهدئتها بقوله وهو واثق مما
يقول:
«بل لا بد ستحبين شخصاً ما».
فحولت نظرها وهي تغالب الدموع التي ملأت عينيها:
«إنك طيب جداً يا ... فليب، لكن لا فائدة من ذلك الآن».
فتوسل إليها ... فليب ... وهو يقول قائلاً:
«يا إلهي، أرجوك ألا تبكي يا ... كاتي».
وأدرك المسافة التي بينهما قبل أن تمنع ... كاتي ... وضمها بين ذراعيه وصرخ
قائلاً:
«إنني لا أحتمل أن أراك باكية».
ودفن وجهه في شعرها بينما أخذت ... كاتي ... تقاوم بلا فائدة بسبب قوة احتوائه
لها بين أحضانه، وتوسلت بصوت لا يكاد يسمعه:
«أرجوك، أرجوك أن تتركني».
وكان توسلاً أملاه عليها عقلها، أما قلبها كيانها فكان ينعم بقربه.
وضمها برفق وابتعد قليلاً بحيث أمكنه النظر إلى سحبة أحضانه التي

أصبحت مستسلمة بلا حول ولا قوة.
«وقالت لي ... كاتي ... اليوم أنني غبي وكنت لعاملتك بالطريقة اللائقة التي
أعاملك بها، لكنها لا تعلم أن هذه الطريقة هي الوحيدة التي تمنعني من
الاقتراب منك».
ولم تستطع ... كاتي ... أن تنسى الصيحة التي أطلقتها بسبب كلماته:
«وحتى الآن، وأنا أعلم أن الدموع التي على خديك هي لرجل آخر، إلا أن كل ما أتمناه
أن أسعدك».
وحدق في الابتسامة التي ارتسمت على شفتيها وقال:
«هل تجدين أي طرافة في هذا القول؟»
فهزت رأسها وهي تكاد تشتعل من السعادة التي لم تكن تتوقعها:
«كلا...»
«بل لا بد أنك تجدينها كذلك».
ورفعت أصابعها لتسكته وأبقتها على فمه وهمست تقول:
«هل تعني أنك تحبني؟»
«وإذا أردت أن أقر بذلك كتابة، فنعم أنا أحبك».
أحست أنفاسها تقوى لرقة صوته، وأغمضت عينيها لتستمتع بجلال هذه
اللحظة قبل أن تقول بصوت مرتعش لكنه سعيد:
«من حقك أن أقول لك أن هذه الدموع هي لرجل كان يحتويني بمجرد نظرة
شاكّة».
فرفع يده ذاتها إليه حتى يستطيع النظر في وجهها:
«أتعنين أن ... تحبينني ... أنت ...؟»
«أعني أنني أحبك يا ... فليب ... ماكلسن».
ولم يستطع ... فليب ... أن يصدق أن هذه الكلمات القليلة القوية يمكن أن

تفصل من جسمها الرقيق.

ولزم ذلك فترة سكون، وكانت اللحظات التالية عاصفة تقطر فيها الحب بينهما ثم قال «ليندا»:

«عندما أفكر في الجحيم الذي عرضتني له، أود لو عصفت عنقك».

وكانت «كايبي» متأثرة من كلام «ليندا» والمرارة المتحشرجة في صوته

«لم أستطع أن أصدق أنك لم تحبيني، ولكنك حين أنكرت ذلك بشدة يوم أن أوصلتك إلى «كايبي» اضطررت أن أصدقك، ورغم ذلك أردت أن تتعرفي على أسرتي كما تعرفت أنا على أسرتك».

«ظننت أنك أردت التخلص مني لأنك استخدمتني لإرضاء رغباتك والمرورة كما كنت خائفة من أنني أتوقع منك أن... أن...».

وحاولت «كايبي» أن تشرح ما تريد لكن «ليندا» فهم ما تعنيه وأتم كلامها:

«... أن أتزوجك».

وشعرت «كايبي» [illegible]

«لقد قررت أن أتزوجك يوم أن اضطررت أن [illegible] والآن هذا هو ما سأفعله. ستتزوج بمجرد حصولنا على رخصة الزواج».

وتوقف عن الكلام ولمعت عيناه الخضراوان فوق وجهها وقال:

«وسيكون فستان الزفاف أبيض مثل لون زهرة الخشخاش الشائكة».

فضحكت «كايبي» ورد أصبعها الحب الذي شع من عينيه الرماديتين وقالت:

«ظننت أن العروس هي التي تنظم حفل العرس».

«هذا هو ما يحدث عادة».

وجذبها نحوه بحنان ونزل قليلاً ليهمس في أذنها

«يخيل لي أن تستغرق الترتيبات منك وقتاً طويلاً، وأنا لا أستطيع الانتظار».

وتحسست «كايبي» أنفاسها من الحب الذي لمع في عينيه وهي تدير رأسها لتلقيه على كتفيه هامسة:

«إنك يعقل الرئيس الكبير».

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 48

الحصار الضيق

يقال فلان موقع في الحب ولا يقال طار حباً، ربما لأن الحب رمال متحركة كلما تغلغل فيها المرء ازداد غرقاً واختناقاً.

...وما دام كل شيء إلى زوال لا يبقى القلب الجريح جريحاً إلى الأبد.

وكاسي التي تشبه زهرة مشمش شائكة تعرفت مرة كال [illegible] في [illegible] لكن [illegible] القوة [illegible] الشمس يشع الضوء. لكن هل يحق للعصب أن يحطم سماء عينيها فتتلبدان بالدموع؟ الحب يحيي ولا يميت. وقلوبنت ماكالستر التي ماعتبر كاسي بأسلاك عواطفه وحول أصابعه إلى قضبان كالسجن متى يطلق عصفورته الأسيرة كي ترى إذا كانت ستعود إليه؟

لبنان ٧ ل.ل.	الكويت ٧٠٠ ف	اليمن ٨ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ٨ ل.س	الإمارات ٩ د	تونس ١ د	U.K. £ 1
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	ليبيا ٩٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ٩ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 120
السعودية ٨ ر	عمان ٩٠٠ ب	مصر ٨٠٠م	Cyprus P 1